بسم الله الرحمن الرحيم

(الرسالة الأولى إلى يسري جبر)

الإصلاح يبدأ من الأرواح، والأرواح تتحرّك بالأفكار والتصورات شعرت أم لم تشعر بها. وأسوأ استعباد للنفوس هو استعباد الإنسان نفسه بنفسه، وتبريره ذلك بطرق مختلفة، وأسوأ تبرير عبر التاريخ وإلى اليوم شرقاً وغرباً هو التبرير الديني للاستعباد والاستبداد وهذا ليس سرّاً نكشفه بل هو أمر نذكّر به وهو معلوم لأهل الاطلاع والبحث.

في بلاد المسلمين، والعربية منها بالأخصّ، تمثّلت عقيدة الاستعباد وتبرير الاستبداد بفكرة طاعة ولي الأمر وعدم جواز الخروج عليه. محاولات كثيرة ومنذ قديم الزمان لترسيخ هذه العقيدة في نفوس عامّة المسلمين، على يد فريق من شيوخ الدين. أيضاً هذا ليس اكتشافاً جديداً. العرب اليوم هم أشدّ الأمم استعباداً ودولهم أكثرها استبداداً، بلا منازع إن نظرت إلى الأمر من كافّة النواحي. لكن لدينا خاصّية أخرى، وهي أن بلادنا هي الوحيدة القائمة على دين وعامّتها يعتقدون بدين ومع ذلك أهل هذا الدين أنفسهم إن لم يكونوا من التابعين مباشرة أوغير مباشرة للدولة فإنهم يخافون أو يتوجسّون من إعلان ما يعتقدون به ولا يملكون العمل بحرية بحسب تعاليمهم ومذاهبهم، إلا قليلاً. وخاصية أخرى، هي أن نوعية الدين الذي يروّج بينها هي أكبر عائق للعامّة عن وضع أغلالها وكسر قيودها والتحكم بمصيرها. أول وأكبر وأهمّ واضع للأغلال كان ولا يزال هم الشيوخ الذين يروجون عقيدة الطاعة وعدم الخروج. هؤلاء ليسوا دائماً من موظفي الدولة بالمعنى المباشر، بل قد يكونوا من أصحاب موظفي الدولة وممن يتبعهم في فكرهم، وقد يكونوا ممن هو فعلاً مُضلل وأضلّ نفسه وكذب على نفسه باختراع أفكار معينة يقنع نفسه بها بلا سبب ملجئ من وضوح بيّنة أو سطوة برهان أو حسن تحليل التجربة الإنسانية في قضية الحرية السياسية والدينية.

قد سبق وكتبت عن هذا الموضوع بأخذ أمثلة لشيوخ هم عندي من أحسن الشيوخ في جوانب كثيرة، فلم ألتفت مثلاً إلى شيوخ الوهابية فهؤلاء كلاب الدولة السعودية منذ القديم وعقيدتهم في تأليه طاغيتهم تأليهاً فرعونياً أمر معلوم وقد قرأتُ في بعض مجالسي أحد كتبهم المعتمدة في هذه المسألة وناقشناها وسأكتب عنه إن شاء الله وأضمّه إلى مجموعة رسائل-هذا أحدها- ويتكوّن من مجموعة رسائل تدور حول هذه العقيدة الفرعونية المسماة زوراً بالإسلامية بل ولو كانت إسلامية لوجب رفضها فما بالك وهي ليست كذلك أصلاً ولا فرعاً. الشخصيات التي

اخترتها كلها من أشدّ الشيوخ معاداة للوهابية في العلن ويبدو أنه في السرّ أيضاً من نمط كلامهم في العلن، لكنهم أعداء الوهابية في شقّ الوهابية الأضعف والأسفل الذي هو الجانب العقائدي الغيبي والفقهي المذهبي، لكن لباب الوهابية ليس في العقيدة بمعنى الأمور الغيبية والميتافيزيقية وموقفهم من النور المحمدي وما أشبه، ولا حتى في المذاهب وموقفهم منها، فهذا كله فروع أو قشور الوهابية، لكن لب الوهابية هو عقيدة الخضوع للطاغية، طبعاً ليس أي طاغية لكن الطاغية الذي يناسبهم فقط، وهذا بالضبط هو موقف فريق المتصوفة والأشاعرة من أعداء الوهابية من الذين حكيت قولهم وناقشته في هذه الرسائل. فهؤلاء وهابية من حيث اللب، وإن كانوا خصوم الوهابية من حيث القشر. بل إن شدّة إصرارهم على أنهم خصوم الوهابية وشتمهم الوهابية ليل نهار وبمناسبة وبغير مناسبة كبيرة ونقدهم والسخرية منهم لعله يكون حجاباً ممتازاً على اتفاقهم الكلّي مع الوهابية، بل وللإنصاف لعلهم أسوأ من الوهابية في عقيدة الفرعنة من حيث أنهم أذكى من الوهابية وأحسن منطقاً وأحلى أسلوباً وأفضل منظراً فيكون لكلامهم تأثيراً مضاعفاً.

هذه الرسالة تتعلّق بأحد هؤلاء الشيوخ، وهو عندي- لولا رأيه السياسي الذي يصبغه بصبغة إسلامية وصوفية-من أحسن الأمثلة لشيخ ظاهر في العلن. لأنه من جهة دكتور جراح يتكسّب بمهنته لا بدينه، وهذا أمر كبير وعظيم ومنقبة كبرى في كل عصر وخصوصاً في هذا العصر. ثم جمع لذلك دروساً قرآنياً وفي الحديث والتصوف والفقه وبقية العلوم المهمة في الدين وروجها ولا يزال بين عامّة المسلمين ويسّرها لهم. فلا كلام جوهري لي من هذا الوجه. لكن الشيخ يسر يتدخّل في السياسة، بل وكما سنرى في هذه الرسالة إن شاء الله من خلال تسجيلين له أحدهما في يوم عادي في بعض دروسه والآخر خطبة جمعة سخّرها كلها للدعوة إلى هذه العقيدة وكانت هذه الجمعة هي التي كان الشارع المصري يرتقب حدوث ثورة جديدة على الطاغية السفيه العسكري الحالي فسخّر الشيخ خطبة جمعة كاملة مخصصة قرآنياً لذكر الله {فاسعوا إلى ذكر الله} وقام مقام النبي {تركوك قائماً} حتى يروّج هذه العقيدة السياسية الفاسدة التي هي أساس بقاء عامّة العرب المسلمين تحت أقدام الملكيات العائلية والعسكرية إلى اليوم، ضمن أسباب أخرى طبعاً لكن هذه العقيدة تنفث في عقدة الخوف من الحرية وبغض التحرر والعيش كالديدان في مقابر تُسمّى مجتمعات إنسانية مجازاً. الآن لا أظن أن شخصاً ضرب على يد الشيخ حتى يتكلّم بهذا الكلام، لا أدري لكن لا أظنّ لأنه يتحدّث من قناعة ومن نفسه ويبرر بتبريرات سنراها إن شاء الله تبدو أنها صادرة من شخص مقتنع فعلاً بما يقوله، وإن كان الشيخ تابعاً في الطريقة والصحبة لجماعة تنتمي للدولة العسكرية وترتاح

فيها مثل المفتي الأسبق علي جمعة، وللشيخ علي جمعة في هذا الباب بالمناسبة تسجيلاً من أسخف ما يكون وهذه كلمة مخففة مؤدبة بالنسبة لمحتوى رأيه لعلنا نتناوله إن شاء الله في مناسبة لاحقة. لكن مع ذلك لا أظن أن الشيخ يسري تحدّث من غير قناعته الشخصية، وهو كما قلنا ليس موظفاً للدولة، ومن يستمع له يرى فيه شخصاً يتحدث عن قلب وعقل خاص ولا يبالي أو هكذا أراه، مما يجعل الأمر أسوأ لأنه إن كان مثل هذا القول يصدر بانشراح صدر فالمصيبة أدهى وأمرّ. وكان على الشيخ أن يلتزم بالنصيحة التي يكررها كثيراً وستجدها في كلامه هنا، وهي أن يلتفت لما أقامه الله فيه من مهنة ونحو ذلك، فيا ليته يفعل وإن كان لا يريد أن يعين المسلمين على التحرر فعلى الأقل لا يعين مستعبدهم على تعبيدهم بنشر عقائد سياسية من جهة غبية ومن جهة مخالفة للمعلوم قطعاً من طريقة النبي والمسلمين الأوائل في التعاطي مع هذه القضايا. لذلك لا أتحدث عن الشيخ هنا كشيخ، لكن سأتحدث عنه كدكتور من باب التقدير للسن، فهو دكتور جراح يتحدث في رأي سياسي، فمن هذا الباب سأشير إليه إن شاء الله باسم الدكتور كمواطن عربي في دولة عربية يتحدث في السياسة ويروج لنمطاً معيناً من التفكير والتعاطي مع القضايا السياسية. فتعالوا ننظر.

ما بعد العدد ١ أو ٢ وهكذا وما بين { - } هو كلام الدكتور. ومن بعد كلمة "أقول" هو تعليقي عليه. والكلام منقول حرفياً حسب ما نسخه لي صاحب مصري وقد استمعت أنا للتسجيلين من قبل، بحسب نطق الدكتور باللهجة المصرية وسأتركه كما هو.

...

التسجيل الأول (كيفية التعامل مع الحكم الجبري وإن كان ظالما؟ / ٩ سبتمبر ٢٠٢٢)

١-{ما نصيحة رسول الله في فترة الحكم الجبري؟
إن الإنسان يلتفت إلى ما أقام الله فيه فترة الحكم الجبري، مقالكش اصطدم بالحاكم ابدا، قالك التفت لما اقامك الله فيه. كويس! ومتتعاونش مع الحاكم الظالم فيما يأمر بظلم. متتعاونش بس وفي نفس الوقت لا تحرش الناس ضده حتى لا تثير البلبة والفوضى.
لأن حاكم ظالم خير من لا حاكم...مطلقا. فهمت بقى ازاى ؟ من باب ارتكاب اخف الضررين.}

أقول:
نصيحة رسول الله هي أنه لا يوجد حكم جبري أصلاً. بل ولو لم تأتي نصيحة من رسول الله، فإن أمر الحكم الجبري والاختياري أمر راجع للناس وهو من أمر دنياهم ويتعلق بأموالهم وأنفسهم، فلا يجري عليهم فيه إلا ما يريدونه.

لاحظ هنا أنه يُقرّ بأن الحكم حكم جبري، فهو لا يدافع عنه من حيث إلغاء صفة الجبرية عنه، وهذا بحد ذاته إقرار مهم، ويُظهر لك مدى الانحطاط كشخص يقول لك "أمّك تتعرّض للاغتصاب، لكن عليها أن تُسلّم للمغتصب" فهو لا يناقش بأن العلاقة ليست اغتصاب كأن يقول أنها نكاح مشكوك فيه مثلاً أو فاقد لبعض الشروط بل يواجهك بالصراحة وهي أنها علاقة اغتصاب صريحة. ثم بعد ذلك ينتقل إلى كيفية التعامل معها، أو ما يسمّيه هو {نصيحة رسول الله}. هذه قاعدة مهمة لابد من تذكرها، لأنها تختصر علينا الطريق لإثبات أن الحكم هو بالفعل حكم جبري، فحتى الذين يبررون له يعترفون بذلك.

الآن، ما هو ضدّ الحكم الجبري؟ هو الحكم الاختياري. الجبر هو جبر قلّة للعامّة، فالاختيار هو اختيار العامّة للقلّة الحاكمة وكيفية حكمها وتصرفها. بأي حق يحق لقلّة جبر العامّة والأكثرية؟ بالعنف والقهر. بما أن الأمر قائم على الجبر، فما فائدة محاولة إقناع العامّة بالقبول به والتسليم به بالعقائد الدينية، فالحكم الجبري لا يعتمد على إقناع العامّة بل يعتمد على-من اسمه-جبر العامّة، نعم لكن العقائد تأتي لاحقاً حتى تخفف من الوطأة النفسية من جهة وحتى تقلل عدد الراغبين في الثورة من جهة أخرى وحتى تفتّ في عضد الدعاة إلى الحكم الاختياري من جهة ثالثة. من هنا، المبررون للحكم الجبري هم ليسوا فقط من أعوان الظلمة، بل هم ظلمة أنفسهم ومحلّهم من الظلمة محلّ الدماغ من اليد والقدم التي تمسك بالأسلحة.

محاولة إدخال رسول الله بسؤال {ما نصيحة رسول الله في الحكم الجبري} تعني جعل الرسول مشاركاً وظالماً أيضاً، وهو كفر في أقصاه وسوء أدب بل ونفاق في أدناه. المفروض عدم إدخال الرسول وأي أمر إلهي في هذه المعادلة الخبيثة والقضية السوداء.

رسول الله كان يعيش هو وأصحابه تحت حكم جبري في مكّة. ماذا فعل؟ هل رضي وسلّم أم اشتغل وصبر وبحث وسعى إلى أن بدأ يحصد رؤوس الطاغين من أبي جهل فرعون هذه الأمّة في بدر فما بعدها؟ فإن قال: لكن أهل مكّة كفار بينما أصحاب الحكم الجبري في بلاد المسلمين هم من المسلمين؟ نقول: إن كانوا من المسلمين فهو أشدّ وأسوأ، وإن كانوا من غير المسلمين فهم وطغاة قريش سواء. ثم إن الله لم يفرّق بين مؤمن وكافر في حال البغي، "فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله" بالرغم من تسميتهم مؤمنين، فاللعب على وتر الإيمان والكفر والإسلام وغير الإسلام لا ينفعهم هنا. هؤلاء الشيوخ أنفسهم، ينتقدون ويشتمون حتى في أناس من المسلمين، ولو أخذ أحد من المسلمين في بلادهم حقاً لهم فإنهم يستبيحون الدفاع عن أنفسهم أو رفع الدعاوى عليهم واستعمال سلطة الشرطة والدولة ضدّهم، وعلى العموم لا يوجد مَن ينكر هذا شرعاً.

موسى وبنو إسرائيل كانوا أيضاً تحت الحكم الجبري. فماذا فعلوا؟ بالتأكيد لم يجيبوا كما أجاب الدكتور هنا {إن الإنسان يلتفت إلى ما أقامه الله فيه} هذه العبارة المبهمة بل الفارغة بل الجبرية بحد ذاتها وكأن {ما أقامه الله فيه} أمر مقدّر كتقدير الجينات في البدن. أنت لا تدري ما أقامك الله فيه، فأنت لم تطلع الغيب. وإن كنت تنظر إلى ما أنت فيه الآن وتعتبر هذا ما أقامك الله فيه، حسناً، فلماذا تعترضون على مَن أقامهم الله في الثورة والمعارضة للحكم الجبري؟ فهؤلاء أيضاً أقامهم الله في ذلك حسب تعريفكم، لكنكم تعارضون ذلك، بل تعترضون وكما سنرى بشدّة على مَن اتفق أن يقيمه الله في هذا العمل.

ثم أين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الإنسان "يلتفت لما أقامه الله فيه"؟ أنا لا أعرف حديثاً لا بهذا النصّ ولا بهذا المعنى. والدكتور نفسه لم ينقل شيئاً من ذلك.

ولماذا لم تذهبوا إلى طاغيتكم السفيه الذي "أقامه الله" كقائد عسكري فقط في دولة مدنية جاءت باختيار أهل مصر الأحرار ولأول مرّة منذ قرون، فلم يلتفت هذا القائد لذلك بل تجاوز قدر الله على ما يبدو حسب تعريفكم الجبري (وسبحان الله، الجبرية في السياسة بنت الجبرية في العقيدة). لكن وكما هي عادة عموم شيوخ "أهل السنة" (سنّة بني أمية) في هذه المسألة خصوصاً، فإن العامّة يُعطون عقيدة الجبر في السياسة والدين، لكن الحكومة تُعطى عقيدة مختلفة وأحكاماً مغايرة.

يقول الدكتور {مقالكش اصطدم بالحاكم أبداً، قالك التفت لما أقامك الله فيه، كويس؟} لا، مش كويس. لأن الرضوخ تحت الحكم الجبري هو أمر مصطنع لاحقاً لم يعرفه لا النبي ولا الصحابة الكبار ولا حتى الكثير جداً من سلفنا الصالح والطالح الذين لا زالوا شرقاً وغرباً يثورون على الظالمين وقارئ التاريخ يعرف هذا جيداً وبسهولة. جنرالكم الأبله اصطدم بالحاكم المنتخب، لماذا لم تعظوه وتُلقّنوه هذه التعاليم التي تلقونها إلى العامّة المسحوقين والمستعبدين إن كنتم صادقين.

غرض هؤلاء الشيوخ هو حماية الحاكم الجبري. وينسبون هذا إلى رسول الله، مما يعني أن الأمّة إذا نظرت إلى سوء حالها تحت الحكم الجبري فعليها-إن صدّقنا كلام هؤلاء الشيوخ- أن نلوم رسول الله والعياذ بالله. لأننا نجد الأمم شرقاً وغرباً ومنذ قرون قد ثارت وخرجت وتحررت وصارت لها دول محترمة مبنية على الاختيار، وقابلة للإصلاح المستمر وإن كانت تصارع قوى الجبرى باستمرار فإن الشياطين لا يهدأون، لكن على الأقلّ قد خرجوا من جحر ضبّ الاستبداد، وصاروا يعيشون في الضوء ويتنفسّون تنفّس الأحرار، إلا أمّتنا، خصوصاً في البلاد العربية، لا تزال كل البلاد العربية إما ملكيات عائلية وإما ملكيات عسكرية، والاستثناء الوحيد لبنان الذي هو خليط من القوى العسكرية والطائفية التي لا تزال تسعى لكي تكون دولة، والعراق الذي حاله أحسن بقليل من لبنان وقليل جداً فقط، لكن الباقي كله خالص الاستعباد. حين تنظر الأمّة إلى هذا الواقع، وتنظر في ما يبرر به هؤلاء الشيوخ ذلك وما يختلقونه، فالنتيجة لابد أن تكون إما لوم الشيوخ وإما لوم رسول الله، وبما أن الشيوخ يحتمون وراء رسول الله بالاسم واللفظ فقط مع الكذب عليه بلا حياء ولا علم، فالنتيجة النهائية ستكون كما كانت في أوروبا قبل بضعة قرون، حين كان الباباوات يفتون بنفس عقيدة طاعة ولي الأمر وعدم جواز الخروج عليه وما يشبه ذلك ثم انتهى الأمر بما تعرفونه من كفر الكثير جداً بالدين ولوم الدين وانتهاء بتحييد الدين عن الحياة العامّة. هذا بالضبط ما سينتهي به الأمر في الدول العربية، وقد بدأ ذلك وهو الآن يتصاعد إن استمر هذا النوع من التعليم.

إلا أن الإسلام له حماية خاصة من الله تعالى، وفي القرءآن وحتى في الروايات والتاريخ والمذاهب ما يمنع من تأسيس عقيدة مطلقة تبرر الحكم الجبري تبريراً تامّاً. وهذا من فضل الله على هذه الأمّة. ولذلك لابد أن تجد حتى الوهابي وحتى السنّي كالدكتور هنا يقول بعد ما ينسب وجوب الخضوع للحكم الجبري عبارة تتضمّن التالي وهي عبارة كفيلة بنسف عقيدة الجبرية السياسية كلها ومن جذورها في حال أُخذَت جدّياً ولابد من أخذها جدّياً. يقول الدكتور

مقيداً الخضوع للحكم الجبري، {ومتتعاونش مع الحاكم الظالم فيما يأمر بظلم، متتعاونش}. يعني، لا تتعاون مع الحاكم الظالم إذا أمرك بظلم. ممتاز. تعالوا ندرس هذه العبارة. ما هو التعاون مع الحاكم الظالم؟

لاحظ قبل ذلك أنه سمّاه {الحاكم الظالم}، فسبحان الله هذا الشيخ موفّق من الله حتى ينطقه بهذه العبارات، ولولا أني أريد حمله على ظاهره لقلت بأنه يدعو إلى الثورة من طرف خفي وتقية، لكن لنجري على الظاهر. فهو حكم جبري، والحاكم ظالم. تمام.

الآن، كيف نتعامل مع هذا الحاكم الظالم؟ يقول الدكتور بلسان المشيخة أنه علينا أن لا نتعاون معه إذا أمر بظلم. يعني في خصوص الأمر بالظلم، لا تعاونه. فإذا أمر بالعدل، نعاونه. فهنا المغالطة الأولى، وهي فصل أصل نشأة الحكم عن كيفية إدارة الحكم. في الواقع لا يوجد مثل هذا الفصل. لا يوجد حكم قام على الجبر وتأسس على الظلم، إلا وسيأمر ويتصرف بنحو يتناسب مع ذلك، فلا أحد يظلم لكي يعدل، لكنه يظلم لكي يظلم. ومن المؤسف أن نحتاج إلى الدخول في هذه البديهيات السياسية والتاريخية بل البشرية.

المغالطة الثانية، هي الإيهام بإمكان الفصل ما بين الأمر الظالم والأمر العادل. وهذا وهم كبير. لأنك سترى نفس هؤلاء الشيوخ بعد ذلك يبررون أي أمر يأمر به ذلك الحاكم الظالم، ليس لأنهم يريدون التبرير له دائماً لكن لأنهم تحت حكم جبري، يعني يخشى فيه الواحد على نفسه وأهله وماله في حال فتح فمه بما لا يناسب إرادة الحكومة الجبرية، وبالنسبة لبلد مثل مصر وما أشبهها فإن الأثر الواقعي لذلك معلوم للجميع وبالصوت وبالصورة وليس فقط بالحكاية والإشاعة. فهذا أمر. الأمر الآخر، في دولة لا تقوم على دستور واضح ولا على مراقبة مجلس الأمّة على أعمال الحكومة، ولا على صحافة حرّة محايدة، ولا على حركة فكرية وسياسية متنوعة حرة التعبير، كيف يمكن أصلاً المناقشة في وصف الأمر الجزئي الذي تأمر به الحكومة أو تقوم به وتتصرف به في شؤون البلاد والناس بأنه عادل أو ظالم، هذا من باب التكليف بالمستحيل وما لا يُطاق وما لا يُعرَف في واقع الأمم، وهو مغالطة بل هو كذب وتدجيل لأنه واضح البطلان بالممارسة والنظر. الأمر الثالث، وانظر في مصر مثلاً وبقية البلدان العربية، كم مرّة صدع هؤلاء الشيوخ أو غيرهم باعتبار ما تقوم به الحكومة ظلماً؟ قد اتفقنا وبإقرارهم أنها جبرية وظالمة الأصل، فلماذا لا تجدهم إلا في زمرة المدح أو السكوت. بل لا تذهب بعيداً فالدكتور هنا نفسه سيقول بعد هذه العبارة النارية الداعية إلى عدم التعاون مع الظالم سيستدرك فوراً ويقول {متتعاونش بس وفي نفس الوقت لا تحرش الناس ضده حتى لا تثير البلبلة والفوضى}، كيف هذا وهم يعتبرون تسمية الحاكم باسمه الظالم، وتسمية الحكم الجبري جبرية، وتسمية الأمر الجزئي بأنه ظلم، وإعلانهم بعدم تعاونهم مع هذا الأمر الجزئي

الذي تبيّن أنه ظلم، سيعتبرون هذه الأربعة بل واحد منها أنها بحد ذاتها نوع تحريش ضد الحاكم الظالم. فما هو التحريش ضدّه؟ نفس انتقاده تحريش ضدّه. وبما أن الدكتور أو الشيخ قل ما تشاء من المتصوفة وقد استمعت له يمدح الشيخ ابن عربي ويعتقد ولايته، ففي الباب ٣٦٩ من الفتوحات المكية، الوصل الثاني والعشرون، كتب الشيخ الأكبر {فإن الملك يعفو عن كل شيء إلا عن ثلاثة أشياء فإنه لا يعفو عنها إذ لا عفو فيها وما يتفاضل الملوك فيها إلا في صورة العقوبة والثلاثة الأشياء التي لا عفو فيها عند الملوك: التعرّض للحرم وإفشاء سرّه والقدح في الملك} ثم ذكر حكاية شخص قدح في الملك شفع فيه ابن عربي وهذه عبارته {وكان هذا الشخص قد جاء لهذا الملك بما يقدح في الملك فعزم على قتله} ثم نقل قول الملك بعد شفاعة ابن عربي فيه فقال {هو ذنب لا يُغفَر فلابد من قتله} أقول: بعد ذلك سيقبل هذا الملك شفاعة ابن عربي، لكن هذا الأمر جعله يتعجّب ويستغرب من عقله فهذه نادرة وأمر شاذ لذلك نقله في فتوحاته. فهذا أمر معلوم ومشهور، قديماً وحديثاً، وهو أن القدح في الملك، يعني انتقاد الحكومة هي الجريمة العظمى في عين الحكومة الجبرية لأنها تعلم أن العامّة على وشك الانفجار في أي لحظة بسبب الجبر والظلم فيخافون أن يُشعل أي أحد شرارة الثورة، لذلك التنكيل والقتل والحبس والتعذيب كلها وسائل لإرهاب العامّة من الإقدام على تغيير ما هم فيه. الآن، حين يأتي مثل الدكتور ويبيح عدم التعاون مع الحاكم الظالم في أمره الجزئي بالظلم إن ثبت، فمعنى هذا أنه يبيح ما يُعرَف اليوم بالعصيان المدني في لغة أهل هذا الفن. وهذا بحد ذاته تفكير "ثورجي" إن شئت، بل عدم التعاون مع الحكومة الظالمة هي طريقة معتبرة في التغيير كما فعل غاندي في الهند ومارتن لوثر وأصحاب حركة الحقوق المدنية في أمريكا في القرن الماضي وغيرهما. فهذا حسن لو تم تفعيله. لكن الواقع يمنع من تفعيله للأسباب التي ذكرناها. وأما قيد عدم التعاون وعدم التحريش فهو من قبيل قول الشيء وضدّه، لأن إعلان الرأي وتطبيقه بعدم التعاون، هو بحد ذاته أكبر تحريش في عين الحاكم الظالم نفسه ولن يترك هذا المعلن العاصي وشأنه لا أقلّ خوفاً من تسلسل الآثار وانتقال عدوى العصيان لغيره.

لكن من وجه أهمّ، ما هو عدم التعاون مع الظلم؟ ماذا يريد الحاكم الظالم أصلاً من العامّة؟ يريد منهم أن يدفعوا الضرائب، يتبعوا القوانين، لا ينضموا إلى المعارضة، لا يشاركوا في ثورة، وإن دعاهم إلى الحرب يحاربون معه. هذه خلاصة ما يريده أي حاكم ظالم. دفعك الضرائب واتباعك القوانين ورضاك بهيكل الدولة القائمة هو أكبر تعاون مع الحاكم الظالم، لا يوجد أحسن ولا أكبر من هذا التعاون بالنسبة للعامّة الذين تنظر إليهم العصابة الحاكمة كمجرّد آلات للزراعة والصناعة وإنجاب الأولاد لاستمرار العمّال ودفع الضرائب ثم إن جاء الوقت تقديمهم لمجزرة الحروب التي يعلنها الطاغية حسب مصالحه وعصابته بشكل رئيس.

رضاك بوجود الحاكم الظالم هو أكبر تعاون مع الحاكم الظالم، أيا كان أمره الجزئي بعد ذلك. نفس وجود الحكم الجبري معصية لله ورسوله، وظلم للمسلمين بل والناس أجمعين. فرضاك وسكوتك عن هذا الحق يجعلك شيطاناً وإن كنت أخرساً، ويجعلك عبداً وإن كنت تحسب أنك محايد. لا يوجد حياد في الحكم الجبري، كل إنسان إما تابع وإما مقاوم، ولا ثالث لهما. ومحاولة الدكتور هنا وبقية الشيوخ اختلاق خانة ثالثة ومنزلة بين المنزلتين هو اختلاق مفضوح، بل نفس كلامهم هذا وتنظيرهم هو بحد ذاته أكبر إعانة قلبية وعقلية للحاكم الظالم، فهم يتكلّمون بالنيابة عنه ويبررون للناس الرضوخ، ولا أدري لعلهم يبررون لأنفسهم سوء عملهم وخوفهم من التغيير والجهد والمشقة في الطريق فيتكلّمون برأيهم على الناس من باب الموت مع الجماعة رحمة لكنه هنا الجبن والمذلة مع الجماعة رحمة بل هي لعنة ولكن لا يشعرون.

ما هي مبررات عدم معارضة الحكم الجبري؟ هنا تأتي أسباب متعددة، ودع عنك نسبة ذلك لرسول الله فرسول الله أنظف وأقدس من أن يُدخل يده أو لسانه في النجاسات التي استمرأ هؤلاء الشيوخ بلعها وأجازوا لأنفسهم العيش وسطها. انظر في التفكير السياسي والتنظير للعبيد، وهو بالمناسبة حرفياً تجده في كتب العبيد الذين هم عبيد بالمعنى المشهور حين يبرر الواحد فيهم لمريد الحرية البقاء في الاستعباد.

يقول الدكتور {حتى لا تثير البلبلة والفوضى}. هذا هو دليله "الشرعي" حقاً، وليس "نصيحة رسول الله" بزعمه. كلام عام ومبهم مثل {البلبلة والفوضى}، والكلام العام السيء في القضايا الواقعية الخاصة هو وسيلة جعل الأمور ضبابية في عقول الناس. هذا أمر. وأمر آخر، هو يعتبر {البلبلة والفوضى} أسوأ ما في الحياة، حتى على فرض وقوع ذلك، لكن يوجد ما أسوأ من البلبلة والفوضى وهو عيشة العبيد الممسوخين والأذلاء المقهورين والمفلسين والمقموعين والخائفين والذين يتقون الحكومة أكثر مما يتقون الله. الدكتور حسب النسب من الأشراف، والأشراف أي أولاد الحسن أو أولاد الحسين وبدأً بالحسين نفسه عليه السلام، ما كانوا عبر التاريخ خصوصاً في القديم ممن يرى البلبلة والفوضى حجّة للرضوخ والاستسلام للحكم الجبري، وصرخة الحسين "هيهات منّا الذلّة" كان ينبغي أن يسمعها مَن ينتسب بجسمه إلى هذه الشجرة المباركة، بدلاً من الانتساب لها بالأجسام والانتساب ليزيد ومرتزقته بالكلام. انظر في واقع البلاد العربية ونفوس الناس فيها، وستجد ما هو أسوأ من البلبلة والفوضى الجزئية التي قد تحدث قبل استقرار الأوضاع. بل كلام الدكتور الجراح هذا ينبغي نقضه بنفس مهنته، فمن المعلوم أن أي عملية جراحية فيها الكثير من الدماء وتحتمل نشوء مضاعفات فوضوية قد تؤدي إلى قتل المريض، لكن عملية جراحية مدروسة وأحياناً حتى لو

كانت ذات مخاطر عالية، أفضل من العيش مع المرض والألم وعلى كل الحال الموت حتم على الجميع. كذلك الثورة وتبديل الحكم الجبري، فقد رأينا مثلاً في التاريخ ما قام به الأمريكان من الثورة على الملكية البريطانية، نعم حصل نوع من البلبلة والفوضى بالتأكيد، لكن بعد ذلك استقرت الأمور إلى الأحسن ولا زال الإصلاح جارياً. والأمثلة كثيرة. في المكسيك، وهي أشبه ما تكون بمصر في الجانب الغربي من العالم، أيضاً كان لديهم قبل أكثر من مائة سنة ديكتاتور عسكري، أيضاً ويا للعجب مولع ببناء المباني الضخمة (لعله يوجد لديهم شيء صغير يريدون التعويض عنه ببناء شيء كبير، على أية حال نعود)، لكن ثار المكسيكان واستعادوا دولتهم، وهكذا نشأت مشكلة بعد ذلك فعملوا على إصلاحها، ثم الأمور في تحسّن بشكل عام ونفس حرّ أفضل من الماضي. وقد مثل ذلك في بلاد كثيرة. فمن استعمال الأغاليط، التخويف بالبلبلة والفوضى لاختلاق سبب لجعل الواقع الذي هو أسوأ من الفوضى من نواحي والذي يمكن تحسينه من ناحية أخرى واستعادة الناس لكرامتها وصوتها، أمراً مقبولاً.

السبب الثاني الذي يقدّمه الدكتور هو سبب مشهور بين هذا الفريق من الشيوخ، وهي مغالطة قبيحة بل فيها ليس فقط كفر بنعمة الله ويأس من رحمة الله وروح الله لكن فيها أيضاً اتهام صريح فصيح لأمّة المسلمين بأنهم جماعة من الأنجاس المناكيد الذين لا يصلحون لخير ولا يصلح الخير لهم، وقد رأيت هذه الحجّة عند هذا الشيخ وعند أكثر من شيخ سنّي وكذلك عند الوهابية حرفياً كأن بعضهم ينقل عن بعض، ويبدو أنه ولا واحد منهم يدرك ما الذي يقوله أو إن كان يدركه فلا أدري ما سرّ بقائه مؤمناً بالله أو ما سبب انتمائه لهذه الأمّة التي إن صدق قولهم لابد أن تكون أمّة ملعونة عن آخرها. هذا السبب هو هذه العبارة السوداء السوداوية، يقول {لأن حاكم ظالم خير من لا حاكم مطلقاً}. سوّد الله وجوهكم، ولعن معلميكم، وحشركم مع أوّل ظالم وآخر ظالم. أهذه اختيارات أمّة محمد أيها الأنجاس المناكيد؟ ألا يوجد اختيار آخر غير {حاكم ظالم} أو {لا حاكم}؟ على طريقة قول الله لأصحاب جهنم "اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم" أو "سواء عليك ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"، بل قوله تعالى "وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها قيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذّبون" هذا بالضبط حال هذه الأمّة تحت هذا النوع من التفكير والعمل، كلما خرجوا من عذاب حاكم ظالم انتقلوا إلى ما هو أشدّ منه حتى يرجع إليهم الحاكم الظالم فيذكّرهم بما حدث حين كان {لا حاكم} ثم يذيقهم عذاباً أشد ويخوفهم بما مضى. إن كانت هذه الأمّة، أمّة التوحيد والقرءان وأتباع النبي والشريعة، أمّة لا تعرف إلا أن تكون تحت حاكم ظالم أو لا حاكم، فبأي شيء تزعمن أن ديننا خير وحكمة ورحمة، وبأي حق تقولون "كنتم خير أمّة

أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله". هذه أمّة من السفلة والمنحطين، بل أسوأ من الأوباش والكفار، فلقد رأينا الأمم ولا زلنا نراها شرقاً وغرباً تعرف كيف تشقّ طريقاً بين جهنم {حاكم ظالم} وجحيم {لا حاكم}.

ثم يقول الدكتور {فهمت بقى ازاي؟ من باب ارتكاب أخفّ الضررين} طبعاً لابد من ترقيع أي كلام قبيح بعبارة فيها رائحة دين وفقه، فيأتي هنا بقاعدة {ارتكاب أخفّ الضررين} من القواعد الفقهية، وسنرى استعماله لقاعدة أخرى لاحقاً إن شاء الله، ليجعل للفكرة المظلمة التي تجعل أي إنسان سليم النفس أن يتبرأ من هذه الأمّة ودينها وأصلها وفرعها إن صدقت، لابد أن يمسحها ويعطرها بكلام "إسلامي". فالشريعة والعقيدة أدوات لتبرير الواقع البائس والمستقبل المظلم، والتنفيس عن العبيد. إلا أن من فقه عن الله وعرف نفسه، سيعرف أن {أخف الضررين} ليس الرضا بالحاكم الظالم والسكوت عن الحكم الجبري، بل أخفّ الضررين هو الموت في سبيل تغيير ذلك. أما هؤلاء الشيوخ ففي هذه المسألة هم ورثة الذين كانوا يقولون {لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنّم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون} لكنهم لا يفقهون. الفقه بل صلب الإسلام يقتضي أن لا يكون للإنسان مالك إلا الله، والحكم الجبري هو تملّك إنسان آخر لك، هذه خلاصته الواقعية، فالحكم الجبري كفر وشرك، وليس مجرّد سياسة فاشلة وقبيحة، هذا بالنسبة لأصحاب الفقه القرآني، لا فقه التدقيق في حكم الرعاف في الصلاة والأمّة كلها دامية القلب أو البدن أو كلاهما تحت سوط الحكام الظالمين. إلا أننا نستطيع المشاركة في لعبة استعمال القواعد الفقهية أيضاً، بل نستعملها بنحو أفضل مما استعملها هذا الشيخ المبرر للظالمين. فمن القواعد المقررة {التصرف على الرعية منوط بالمصلحة} إلا أننا لا نستعمل كلمة {الرعية} فإن الرعية بهائم وهذه الأمّة إن صدقت في إيمانها لا تكون كالأنعام بل كالرجال وأوادم كرام، فالتصرف على الأمّة منوط بالمصلحة، ثم من المقرر عندهم أيضاً أن الأمّة لا تجتمع على ضلالة، فإذا جمعت هذا وذاك، كان الواجب أن تكون هذه الأمّة أكثر الأمم " ديمقراطية" في الأرض والتاريخ، فنحن نملك أساساً إيمانياً يضمن حسن اختيار الأمّة في حال تم تخيير الأمّة فعلاً وبضمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، خلافاً للأمم الأخرى التي تبني على حسن الظن فقط في أحسن الأحوال، بالتالي الجمع بين الحديث والقاعدة بل مع آية "وأمرهم شورى بينهم" حيث نسب الأمر لهم كلهم، يقتضي أن تكون أمّتنا ساعية نحو تفعيل اختيار الأمّة كلها لأن المضمون العصمة هو الأمّة لا بعضها فكلّما تم إدخال المزيد من أفراد الأمّة في الاختيار العام كنّا أقرب إلى نيل الوعد النبوي بالعصمة من الضلالة، ثم مع جعل الأمّة هي التي تراقب كون الأمر مصلحة أم لا بداهةً لأن الحكم على الأمر بأنه مصلحة لا يمكن أن يكون بيد المحكوم عليه وهو المتصرف هنا فإن فرعون نفسه كان يرى أيضاً أنه من

المصلحة قتل موسى بل مصلحة الدين والدنيا "ذروني أقتل موسى وليدع ربّه إني أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد". فتطبيق قاعدة التصرف على الأمّة منوط بالمصلحة يقتضي أن تكون للأمّة راقبة تامة وحرية كاملة في التعبير ووسائل سلمية في التغيير، وذلك حين تكون الحكومة فرع وخادم وتحت الأمّة. خلافاً لنظريات السنيين والوهابيين إخوانهم التي تجعل الحكومة فوق الأمّة بل ربها بالمصطلح القرآني لذلك، فإن الآية قالت " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً" وما كان ذلك إلا لأنهم اتبعوهم في الأمر والنهي يعني في سلطة التشريع بالاصطلاح السياسي، فلما جعل من صلب التوحيد والإسلام أن "لا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله" كان الواجب على الموحد أن لا يقبل أصلاً بوجود سلطة تشريع فوقه تجبره وتحكمه بدون اختياره، وأما اختياره فيجعلها من صلب إرادته وفرعها وليست فوقه فهو الذي قيّد نفسه بنفسه من باب اختيارنا في باقي أمور حياتنا أو عقودنا أو مذاهبنا الشخصية لكن على مستوى أوسع. فالحكم الجبري من فروع الشرك، والحكم الاختياري من شروط التوحيد وإخلاص العبودية لله تعالى.

ولماذا نتوقف عند ذلك، توجد قاعدة فقهية أخرى جليلة ونافعة للأحرار، لا للعبيد، تقول {الاجتهاد لا ينقض الاجتهاد}. هذه تقتضي بأن يعمل كل فرد بحسب اجتهاده، ونحن هنا نفسّر بحسب تأويل القاعدة في مجال كلامنا كما فعل الشيخ حين استعمل قاعدة أخف الضررين وما سيأتي. طيب. أنا لدي اجتهاد، أنت لديك اجتهاد، كل فرد لديه عقل لديه اجتهاد، في أمر الدين وأمر الدنيا. حتى اختيار المفتي الذي ترجع له، والمذهب المقرر الذي تتبعه، هو أيضاً نوع من الاجتهاد. فلا فرار من الاجتهاد، وليس بالضرورة أن يكون اجتهاداً بالمعنى المعقد والمركّب الذي يحتاج إلى سبعين علماً، لكن نتحدث هنا عن الاجتهاد بمعنى استعمال العقل وبذل الجهد في التفكير لاختيار أمر تكون مسؤولاً عليه عند الله يوم يقوم الأشهاد. الأمّة إذن، بأفرادها أو بجماعتها، في أمر الدين وأمر الدنيا، مليئة بالمجتهدين. هذا واقع ومعروف. وهذا الدكتور نفسه لديه آراء عن كيفية إصلاح أمر مصر مثلاً بتجميع الزكاة بطريقة معينة وما أشبه. حسناً. إذن الحقيقة الأولى هي أن الأمّة طافحة بالمجتهدين في الدنيا والدين. إذا أتينا الآن إلى القاعدة الفقهية {الاجتهاد لا يُنقَض بالاجتهاد}، فهذا يقتضي أنه لا يوجد رأي لفرد أعلى من رأي فرد آخر، وفي القرءان "النفس بالنفس والعين بالعين" فكل نفس مساوية في أصل فطرتها وكرامتها وقيمتها لكل نفس أخرى بحكم "كرّمنا بني ءادم" وبحكم " فطرت الله التي فطر الناس عليها" واعتبارات أخرى، وكذلك لا رأي لجماعة أعلى من رأي جماعة أخرى من حيث الأحقية بالاجتهاد. فالآن، كيف نوفّق ونوحّد الأمّة ذات الاجتهادات المختلفة والمتناقضة؟ في الحكم الجبري، لابد من نقض الاجتهاد بالاجتهاد، لا لشيء إلا لأن

طائفة ذات اجتهاد خاص قد قتلت وذبحت وسفكت وأرعبت وأرهبت وعذّبت وحرّقت واغتصبت وحبست وفعلت ما يستحي منه إبليس أيضاً ولا يجرؤ على القيام به بحق كل الطوائف الأخرى من المسلمين ولا نقول من غير المسلمين بل من المسلمين الموحدين وأهل لا إله إلا الله الذين الواحد فيهم قيمته عند الله أعظم من قيمة الكعبة المشرفة. لا أحسب أن أحداً من علماء وعامّة المسلمين يرضى بمثل ذلك. فما الذي بقي؟ بقي الحكم الاختياري الحر، وهو أن يكون لكل فرد وطائفة الحرية في التعبير عن اجتهادها بالكلام، ثم يكون لها الحق والحرية في المشاركة في الانتخابات العامّة التي يتشاور ويتناظر فيها الناس حتى يختاروا أحد هذه الاجتهادات لفترة مؤقتة حتى تُطبَّق في المجال الذي لابد من اختيار اجتهاد واحد بالضرورة ولا مجال لتعدد الاجتهادات فيه، ثم يكون مؤقتاً حتى تكون لدى الأمّة الفرصة في اختباره وامتحان نفعه وضرره، ومراجعة نفسها بعد ذلك وإعطاء فرصة لاجتهاد آخر في حال رفض أكثر المختارين ذلك. واعتماد ما عليه "أكثر" المجتهدين بل أكثر الناس في الحكم على عامّة الناس هو أصل معتبر في القرءان ومشهور في التراث الفقهي، ففي القرءان مثلاً "إن قومي اتخذوا هذا القرءان مهجوراً" فقال "قومي" فعمم لكن الواقع أن بعض قومه وقلّة من قومه ءامنوا لكن استعمل كلمة "قومي" العامّة لأن أكثرهم فعل ذلك فحكم على الكل بحسب حال الأكثرية، وكذلك قال النبي أن الأمّة إن كثر فيها الخبث تهلك حتى وإن كان فيها قلّة من الصالحين أو كما قال في الرواية فهذا أيضاً حكم على الكل بحسب حال الأكثرية، وفي الممارسة الفقهية عبارة "قال جمهور الفقهاء" مشهور، وفي الحديث قد يُصحح حديث بسبب "كثرة طرقه" وإن كان كل واحد منها على حدة لا يكفي للتصحيح فهذا أيضاً إعطاء حكم للكثرة، بل الجزاء يوم الدين مبني على قاعدة الأكثرية أيضاً باعتبار كثرة الحسنات أو كثرة السيئات، والله تمدّح بإعطاء {الكوثر} وهو الخير الكثير، والأمثلة كثيرة جداً هذا بعضها في أهمّية الحكم بالأكثر والأغلب والأعمّ وعليكم "بالسواد الأعظم" جاء في الحديث وهذا أيضاً من الأحاديث التي كان ينبغي ولا يزال ينبغي أن تكون من أسس الحكم الاختياري في هذه الأمّة لو يكفّ فقط الشيوخ عن استعمال أخبث وأسوأ وألعن القول لتبرير ما هو قائم بل والتأسيس له، فالقرءان دلّ على استماع القول واتباع "أحسنه" لكن هؤلاء جعلوها استماع القول واتباع أخبثه وأخشنه وأقبحه وأظلمه.

إذن، لا يأتي الشيخ بقاعدة ارتكاب أخف الضررين، ويرسلها هكذا إرسال المسلمات كأنها في ذاتها تقتضي ما يدعو إليه وكأنه لا تفسير آخر لها أو تطبيق آخر لها، أو كأنه لا يوجد في غيرها ما يعارضها بل ويعلو عليها.

...

٢-{احنا عايزين نرجع تاني البنوك تقفل، والمصالح تقفل واقسام الشرطة تتهد، والناس تبني في المخالفات ونعيش فوضى ، ولجان تفتيش من غير الشرطة يفتشوا علينا في مطلع المقطم علشان تدخل وتطلع، عيال شبيحة. عايز ترجع تاني للأزمة دي! فهمت...ما احنا جربنا، ما خلاص بقي الإنسان لا يلدغ من حجر مرتين.}

أقول:
لاحظ الاستدلال المكوّن من ثلاث درجات. الدرجة الأولى وصف واقع جزئي، ثم ترقّى إلى الثانية وهي الاحتجاج بالتجربة من حيث المبدأ، ثم ختم بالثالثة وكالعادة بدهن تفكيره السياسي بزيت الكلام النبوي المبارك.

الدرجة الأولى، وصف الواقع الجزئي، يشير به إلى ما حصل في مصر في ثورة يناير من ثورات الربيع العربي، حين تنفّست مصر قليلاً ولو لثواني معدودة من بين آلاف السنين التي عاشت فيها تحت قدم الفرعون أو الطاغية أو العسكري، فرفعت مصر رأسها قليلاً وشمّت هواءً نقياً بدرجة ما وبالضرورة سيكون مكدّراً بحكم التاريخ والظروف، أو كشخص مكبّل لسنوات ثم فجأة قام على قدميه فإن الحكم على بنفس معايير الحكم على رياضي نشيط طليق ليس إنصافاً. أنا لا أدافع عن الإخوان كمذهب سياسي أو ديني، والذي يقرأ لي ويعرفني يدرك بسهولة رأيي في هذه الجماعة، وما حدث بعد الثورة ليس شأناً إخوانياً بل هو شأن مصري، لكن اتفق أن أكثرية الأصوات ذهبت لحزب الإخوان، فمصر هي التي اختارت وكان لابد من احترام اختيار مصر التي انتقلت في فترة وجيزة من الحكم الجبري إلى الحكم الاختياري. والدكتور وغيره بدأوا حتى يتكلّمون بكل جرأة وصراحة وضد أعمال حكومية والرئيس نفسه، بدون خوف ولأول مرّة في تاريخ مصر المعروف، حسب اطلاعي البسيط. ثم، وللعادة سلطنة، انتكست مصر مرّة أخرى إلى الحكم الجبري. لم ينهزم الإخوان في هذه الانتكاسة، بل انهزمت مصر نفسها. وعاد الأمر أقبح مما كان، لأن العسكري الجديد تعلّم من خطأ العسكري الذي قبله، وصار ما تراه الآن من مخازي ومظالم لا يحصيها إلا الله. فوصف الدكتور لحقبة الحكم الاختياري في مصر فقط بأسوأ مرحلة من أسوأ حالة، ليس إنصافاً ولا عقلانياً ولا يقوم به إلا مُغرض متعامي عمداً. عدم انتظام المصريين في سلك الحكم الاختياري والدفاع عنه، هو المصيبة، هو الأمر الذي ينبغي الاعتبار به. وليس الهروب إلى تحت حذاء الملكية العسكرية من جديد. هذا بالنسبة لوضع مصر خصوصاً.

لكن الشيخ لا يتحدث عن وضع مصر خصوصاً، بل هو يفتي في أمر ديني أيضاً، بالتالي ينبغي إن كان يريد تحكيم التجارب الجزئية للأمم أن يعتبر بما حدث في كل الأمم، فكلنا بني آدم و"جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا"، فتعالوا ننظر في الشعوب والقبائل الأخرى وما الذي حصل معها حين جرّبت الخروج من الحكم الجبري إلى الاختياري. وسنرى أن التجربة لم تكن دائماً بل ولا غالباً بدون فائدة ولا تحسين للأوضا ع بدرجة أو بأخرى.

ثم وما هو أهمّ، إن رأي الشيخ في ثورة مصر لا يعني أكثر من رأي وتحليل سياسي يخصّه هو فقط، ولا ينبغي عليه أن يجعل له صبغة دينية عامّة بحيث يحكم على كل المسلمين بوجوب اتبا ع ما تفرضه التجربة المصرية في الانتكاس للحكم الجبري وسوء العمل مع الحكم الاختياري. لذلك قلت، بأن مسح الرأي السياسي بالدين وهو عادة هذا الصنف من الشيوخ هو من جهة ضعف في الرأي ومن جهة تحريف للدين.

عبر تاريخنا الإسلامي، ولله الحمد، لم يكن لا الجيل الأول ولا من تلاه بعد النبي، ممن يفكّر بهذا المنطق الذي يعتبر الفشل في جزئية سبباً للانتكاس بالكلّية. نعم، "فشلت" من جهة فقط ثورة الحسين، لكن هذا من جهة واحدة إلا أنها من جهات أخرى كثيرة نجحت وسقطت حكم أولاد معاوية وأبعاد أخرى مهمة. فلما جاء مثلاً بعده زيد بن علي بن الحسين، لم يقل " الحسين لم ينجح فأنا أيضاً ينبغي عليّ أن أخضع" بل ثار ثم قُتل وصُلب لسنوات عارياً. فلما جاء بعده ابنه يحيى أو أولاد عبدالله المحض النفس الزكية وإبراهيم لم يقولوا "لم ينجح الحسين وزيد فلنسكت" بل عملوا وكذلك من جهة لم ينجحوا لكن من جهات أخرى فتّوا في عضد الدولة الأموية قليلاً قليلاً. وكذلك فعل الإباضية من قبل ومن بعد. وهكذا استمرّت الثورات عبر القرون، في مشرق العالم الإسلامي وغربه. طريقة الهروب إلى الخنوع أو اليأس من الإصلاح ليست من شأن المسلمين، بل شعارهم كان دائماً ولا يزال هو أن مَن عاش عاش كريماً ومَن مات مات شهيداً. نحن لسنا أمّة يأس وتخاذل وخوف، هذا النمط الذي يروج له مشايخ الاستبداد ليس من هذه الأمّة ولا من روح القرءآن والنبي في شيء. تخويف الشيخ مستمعيه المصريين بقوله {عايز ترجع تاني للأزمة دي ؟!} لا يمكن أن يُكلَّم به عقلاء أو أحرار أو مؤمنين، بل يُخاطَب به العبيد الجبناء والجهلاء فقط ولا يصلح إلا لهم. لو كان صادقاً في إرادته الخير، لوجب أن يجلس هو والصامتين أمامه الذين لا نسمع عادة صوتهم إلا بالضحك أو ما أشبه، عليه أن يجلس ويفكّر كيف دخلت مصر في تلك الأزمة ثم يفكّروا معاً ما الذي عليهم القيام به في المرّة القادمة حتى لا يقعوا في نفس الأزمة، وهو ما يُسمّى في كل علوم الأرض وفي الطب أيضاً بالتأكيد بالاستفادة من التجربة والخطأ، وأكاد أجزم بالغيب أن الدكتور نفسه قد أخطأ في عمليات جراحية ولعل بعض مرضاه مات أو أصيب بأعراض

جانبية حادة أو فشلت العملية لكن هذا لم يجعله يترك الطب بل بالتأكيد عمل على الاستفادة من خطئه وتطوير عمله.

وهذا يدخلنا إلى الدرجة الثانية من الحجّة، وهي درجة مبدأ التجربة.{ما احنا جربنا} الاحتجاج بالتجربة عموماً أمر داخل في الرأي والسياسة، ولا ينبغي استعماله وفرضه على النصوص الدينية التي تُعلّم مبادئ أهمّ من الحياة ذاتها لأنها تنظر إلى رضا الله والدار الآخرة الأبدية. المؤمنون لا يفكرون بمنطق التجربة في أمر دينهم، لأن دينهم قد يدعوهم إلى ما يؤدي إلى خسارة أموالهم بل وأنفسهم في الدنيا. فالتجربة تنفع لمن يريد التفكير في حدود الدنيا فقط، وهذا جائز من وجه، كوجه السياسة البحتة مثلاً. فحسناً، إن كنّا نريد التفكير السياسي والاعتبار بالتجارب، فلنقم بذلك، لكن لنقم به بجدّية ووضوح وعلم. والسياسة علم وفن، وتاريخها على مستوى العالم مهم يحتاج إلى اجتهاد للانتفاع به بإذن الله.

طريقة تحليل الدكتور هنا ليست لا من الدين ولا من السياسة في شيء. هي طريقة شخص خائف مرعوب، دخل في شيء أكبر من مستواه ثم أصابه شيء من الألم فهرب كالطفل إلى أمّه لترعاه من جديد، طبعاً الأمّ هنا هي المؤسسة العسكرية المصرية التي من الأفضل أن تكون يتيماً على أن تكون لك مثلها كأم، بل هذا شأن العسكر جميعاً أينما كانوا حين يضعون أيديهم الحمراء التي لا تفهم إلا لغة العنف والدم في الحياة المدنية البيضاء المبنية على اللطف والسِّلم.

مسؤولية مصر في البلاد العربية أكبر من مجرّد الحياة في مصر، فهي أهمّ وأقوى دولة في المنطقة بالرغم من كل شيء آخر فيها، إذا نظرنا للأمر من جوانب متعددة، نعم السعودية مثلاً لديها المال لكن بضعة فرق من الجيش المصري قد تحتل مصر وتبيد الرياض كما فعل أسلاف مصر مع أسلاف الدولة السعودية من قبل، فضلاً عن الأبعاد الأخرى الدينية والثقافية. فالمفروض لمن يدرك أهمّية مصر للبلاد العربية أن يكون همّه في تحرير مصر وتحويلها إلى الحكم الاختياري أولوية حتى لو كانت التجارب السابقة ذات نتائج سيئة في المحصلة، ومن علم السعودية والإمارات وغيرهما بأهمّية حرية مصر للمنطقة سعوا في تحويلها إلى العبودية من جديد. فبدلاً من التخويف بالتجربة، الأولى القول: كما قمنا بتلك التجربة يمكن أن نقوم بغيرها، وهذه المرّة يمكن أن نقوم بما هو أحسن من تلك. ولو قال مخترع اللمبة "قد جرّبت ثلاث مرّات وفشلت، فلن أجرّب من جديد" لكان الشيخ يتكلّم الآن على ضوء شمعة بدلاً من ضوء لمبة.

الإخوان فشلة في السياسة، كما أنهم بلا روح في الديانة، هذا تقييمي لهم. لكن الحكم الاختياري لا يعني أن الاختيار سيكون دائماً موفقاً، إلا أنه على أية حال أفضل من الحكم الجبري. فالاختياري أصله حسن وأكثره حسن، لكن الجبري أصله خبيث ومعظمه خبيث، ولا عاقل يختار الثاني على الأول. لكن الإخوان كحكام مدنيين أفضل بمراحل فلكية من الضباط كحكام عسكريين، فحكم مدني سيء أفضل من حكم عسكري قطعاً سيكون سيء وأسوأ بالضرورة. نشر الرعب باسم نشر الأمن، ليس أمناً إلا عند البهائم التي ماتت نفوسها وصارت لا تفرّق ما بين الأمن والرعب المسبب للشلل. مرّة أخرى، يا لسوء حال مصر إن كان الاختيار عندها إما الإخوان وإما العسكر. الإخوان أحسن المصريين تنظيماً وأكثرهم دعوة لرأيهم، بينما العسكر من قبل قطّع المصريين وشتتهم لدرجة أنه لم تبقى فيهم جماعات قوية يمكن أن تنافس الإخوان في التنظيم والدعوة والكثرة. فلو صبر المصريون على تجربة الحكم الاختياري مع الإخوان وتركوهم يكملوا دورتهم، وأثناء ذلك استغلوا مناخ الحرية الجديدة لإنشاء أحزاب وتنظيمات سياسية أقوى وأحسن وأعقل من الإخوان، لكان بإمكانهم الاستفادة من ذلك بالفوز على الإخوان في الانتخابات المقبلة مع ترسيخ جذور الحكم الاختياري في مصر وهو النصر الأكبر بغض النظر عن التقلبات السياسية بين الأحزاب المختلفة. هذه هي الأزمة يا دكتور، وليس ما وصفته. الأزمة هروبكم إلى الجبرية لخوفكم من الحرية أو لعدم صبركم عليها وعلى ضريبتها. مَن لا يريد تحمّل ضريبة الحكم الاختيار سيعيش تحت ضربات الحكم بالاجبار.

أخيراً، انتقل الدكتور إلى درجة المسح بالزيت المقدّس فقال {ما خلاص بقي الإنسان لا يلدغ من جحر مرتين}.

اللدغ من جحر مرّتين هو بالضبط ما وقعت فيه مصر بعد تركها للحكم الاختياري، بل ليس فقط "مرّتين" لكن قل ألف مرّة منذ عهد ما قبل أمنحوتب لعنه الله. لكن لا نذهب بعيداً. من عبدالناصر إلى السادات إلى مبارك، لدغات لم تترك شيئاً في جسد مصر إلا وأدمته وسممته. فالاعتبار بحديث اللدغ من جحر مرّتين يكون بعدم قبول حكم العسكري وتدخله في الحياة المدنية. هذا لمن يريد الاعتبار بمصر فقط، لكن من يريد توسيع رؤيته إلى تجارب الأمم فالتواريخ بيدك والواقع أمامك فانظر إلى أمّة يحكمها عسكر أو عائلة مالكة ولن ترى لعامّة الناس كرامة ولا قيمة، مع اختلاف في الدركات طبعاً، نعم دركات لا درجات.

مشكلة، أو مشكلة من مشاكل هؤلاء الشيوخ أنهم ينظرون إلى الحاضر نظرة السمكة أو نظرة معدوم الذاكرة والذي ذاكرته لا تقبل أكثر من لحظة واحدة فقط. يعني، إذا نظروا إلى الواقع الحالي، طبعاً بشرط أن يكون مقبولاً عندهم لسبب أو لآخر، بدأوا باعتباره "

الواقع" الذي يجب الحفاظ عليه مهما كلّف الثمن، فإذا أعرض عنهم الناس، وسعوا في ما سعوا فيه لكي يغيّروا هذا الواقع، فنجحوا فجاء واقع جديد صار هذا الواقع الجديد هو " الواقع" الذي يجب الدفاع عنه وتبريره، وإذا فشلوا فأبعدهم الله من فشلة وخوارج أرادوا الفتنة ! فالشيوخ في مصر مثلاً كانوا يبررون الملكية، أيام فؤاد وفاروق، ثم لما خرج الخوارج من العسكر الذين تغلّب عليهم بعد ذلك عبد الناصر صار هذا هو الواقع الجديد الذي ينبغي عدم الخروج عليه ولا يجوز انتقاده حتى لا تحرّش الناس عليه، وهكذا دواليك. الشيوخ سلبيون، منفعلون، مفعول بهم حكمهم النَّصب (نصب على الناس وعلى أنفسهم)، لكن حين صار الحكم مدنياً وفاز الرئيس الإخواني، رفع المصريون كلهم رؤوسهم وأطلقوا ألسنتهم فيه، ليل نهار، سرّاً وعلانية، لأنهم علموا أنه لا يلبس حذاءً عسكرياً. بمجرّد ما وقع الانقلاب، بدأ التغزّل المقرف والمقزز بهذا المسوخ الغبي والممثّل الهزلي الحالي، لكنه يلبس حذاءً عسكرياً. فتغيّر الحال. صار الآن، السكوت هو الواجب، وعدم التحريش فرض، ورسول الله ينصحك بتركه وشأنه. شيء مُقزز بل مُكفِّر لمن يعتقد فعلاً أن هؤلاء يمثّلون دين الله كما هو في هذه المسألة.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث "لتتبعن سنن من كان قبلكم" وفي رواية أنهم اليهود والنصارى، وفي رواية أنهم الفرس والروم. والحق أن كلاهما حق. فهذه الأمّة في أمر الدين اتبع أكثرها اليهود والنصارى ونحوهم، وفي أمر السياسة اتبع أكثرها الكسروية الفارسية والقيصرية الرومية. الحكم الجبري والمعزز بالهراء الديني، هذا النمط الشائع في مشارق بلاد المسلمين ومغاربها، هو بالضبط الجامع لمعنى اتباع سنن من كان قبلنا في الدين وفي السياسة والدنيا. فالجحر الذي لا يُلدغ منه المؤمن مرّتين مربوط من باب الإشارة بقول النبي في هذا الحديث الآخر عن السنن "حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه"، وكان الأولى أن يعتبروا بهذا الجحر فلا ندخل فيه، لكن صدق النبي وكذب ضُلّال هذه الأمّة الذين اتخذوا التقليد في الدين ديناً فصاروا كاليهود والنصارى، واتخذوا الخضوع للطاغين سياسةً بل عقيدةً فصاروا كالفرس والرومان في أسوأ أحوالهم.

...

٣-{فوجود حاكم خير من لا حاكم وفي اوقات الحكم الجبري لا تصطدم به. لكن التفت لما اقامك الله فيه ، شوفت بقى! انت ربنا أقامك طبيب التفت لطبك، اقامك زارع التفت لزراعتك، اقامك صانع التفت لصناعتك، اقامك مستثمر ورجل أعمال استثمر أموالك وافتح بيوت الناس

وشركات و استيراد وتصدير وعيش حياتك. فهمت بقى ازاى. وقوم بواجبتك من نحو ربك ونحو الخلق، وإذا كنت أب لا تضيع من تعول، تراعي اسرتك ، تراعي أهلك، واحرص على الطعام الحلال وعلى المكسب الحلال، واياك ان تغش في البضائع إن كنت تاجرا ، وإياك ان تظلم إن كنت قاضيا ، فهمت ازاى، واياك الا تعلم الناس إن كنت مدرسا في المدرسة، عليك ان تعلمهم وتبقي اسوءة حسنة وقدوة حسنة، كل حاجة، يشوف ربنا أقامه في ايه يلتفت للإقامة بتاعته."كلكم را ع وكلكم مسؤول عن رعيته".}

أقول:
هذه الفقرة أعاد فيها ما سبق من كون {وجود حاكم خير من لا حاكم}، وأعاد فيها فتوى {في أوقات الحكم الجبري لا تصطدم به لكن التفت لما أقامك الله فيه}. فإذا سألنا: ما معنى "أقامك الله فيه"؟ هنا يشرح هذه الفكرة. وكالعادة أيضاً، بعد أن يشرح سيمسح بالزيت المقدّس ما سبق من لفظ مُنَجَّس.

خلاصة فكرته هو بالضبط ما يريده كل أصحاب الحكم الجبري، وهو أن ينشغل الناس في أمور معيشتهم فقط، فالعامّة مجرّد أدوات كما قلنا في هذه الرؤية المظلمة. فالطبيب يشتغل بالطب وهكذا كل صاحب مهنة. لكن الشيخ يسمّى هذا "ما أقامك الله فيه"، وهذا استعمال للغّة الصوفية في غير محلّها ، وهو نوع مداعبة للعقيدة الجبرية مع استغلالها وتجييرها لصالح الحكم الجبري.

تستطيع فوراً أن تعرف أن "ما أقامك الله فيه" عبارة ملغومة، حين تنظر إلى أن الشيخ نفسه يأمرك بشيء وينهاك عن غيره. فهو يعتبر أن الله لا يقيم الإنسان إلا في مهن دنيوية، طبيب ومزارع وتاجر وقاضي ومدرّس وما أشبه. فلماذا حجّر على قدرة الله وفعله بهذه الصورة إن كان فعلاً يتحدّث عن الله تعالى الإله الحق، لكن سنرى بعد قليل من هو "الله" الذي يتحدّث عنه هذا الشيخ في هذا الموضع، وقد نبهنا مراراً أن مسألة الحكم الجبري هي المسألة التي يتحوّل فيها أحسن الشيوخ إلى أسوأ الشياطين وهذا عبر العصور، هي "أكحل أخيل" بحسب العبارة اليونانية المشهورة، هي الموضع الذي يسقطون فيها عادةً ويذهب دينهم وعرفانهم وأدبهم وعقلهم فيها. هو يعتبر أن اختيارك الطب ليس اختياراً لك بل الله أقامك في ذلك، والسؤال، كيف عرفت ذلك؟ إن قلت: لأني وجدت نفسي في الطب. حسناً، فماذا عن الذي "أقامه الله في الطب" ثم بعد فترة ترك الطب واختار الهندسة ونجح في الهندسة وصار من مشاهيرها ، وتوجد أمثلة كثيرة على هذا النمط من تغيير الاختصاصات والمهن، فهل أقامه الله

في الهندسة أم لا؟ أم أن الله أقامه في الطب، فعصى هذا الله فترك الطب وذهب إلى الهندسة، ثم بعدما اختار الهندسة أقامه الله في الهندسة ووفقه فيها، ثم إذا قرر أن يترك الهندسة بعد تحصيله ثروة منها ويصبح تاجر مخدرات فهل أقامه الله في تجارة المخدرات وعليه أن يلتفت لما أقامه الله فيه حسب نصيحة الأستاذ جبر الجبري؟ هل ما تختاره أنت هو اختيار الله لك؟ إذا قلت هذا، فأنت من ذرية إبليس النفسية، فهو وحده الذي اختار عدم السجود ثم قال "رب بما أغويتني"، وخرجت من ذرية ءادم الذي أكل من الشجرة وقال "ربنا ظلمنا أنفسنا". لذلك ستجد عادةً هذه العقيدة لا يستعملها إلا من يريد تبرير ظلمه وشيطنته وفساده وظلامه عادةً. ولا يستطيع أصلاً أن يكمل تفكيره وعمله بها، من قبيل الذين قيل لهم " أنفقوا مما رزقكم الله" فردّوا وسماهم الله الذين كفروا فقالوا "أنطعم مَن لو يشاء الله أطعمه". هذا الجبري يريد أن يقنع الناس أن اقتصارهم على الاهتمام كالنمل على أكل لقمة العيش هو كل الحياة والحياة كلها، لكن المشكلة أن أكثرهم لا يجد حتى لقمة العيش الكريمة ولا نقول شيئاً عن عيش النفس وخبز العقل وزيت الكرامة. ومع ذلك سيقول لهم شياطين الجبر أن يسكتوا ويرضخوا ويصبروا ليس صبراً في سبيل الله بل صبراً في سبيل عدم إقلاق راحة مَن يأكلون الأخضر واليابس ولا يبالون بالناس أصلاً إلا بالقدر الذي يخافون فيه من تفجّرهم في وجوههم وحتى هذه يضعون أمام وجوه الناس جنودهم الملاعين.

هؤلاء لا يحترمون حقاً "ما أقامك الله فيه"، إلا إن كان ما أقامك فيه يتفق وهواهم فيك، أي في القدر الذي يريدونك أن ترضى به ويستغلونك به. لذلك إذا أقامك الله كثائر ومعارض ومقاوم ومحارب للحرية، فلا لا، لابد أنك لم تعرف ما أقامك الله فيه جيداً. إذا أغضبت طاغيتهم وربهم، فلابد أن ترجع إلى الله ليقيمك في أمر آخر لا يقلق راحة الزعيم.

مما يدلّك أيضاً أنهم لا يؤمنون حقاً بعقيدة "أقامك الله فيه"، هو أنهم لا يرضون بل يعترضون وينتقدون ويشتمون مَن أقامه الله في ضد ما يشتهونه ويعتقدون به. فمثلاً وستجد هذا الدكتور نفسه مثالاً ممتازاً على ذلك، لا يكاد يخلو له مجلس من انتقاد شيء في الأمّة بل الأمم، وهذا تخمين منّي بحسب ما اطلعت عليه وتستطيع التجربة بنفسك لترى، بل وانتقاد حاد وناري بل وأحياناً حتى مع شيء من الشتائم وحتى لو كان في مقرأة قرءآن ودرس تفسير، وطبعاً اللزمة الأساسية له ولغيره ممن نشير إليهم في هذه الرسائل هو انتقاد الوهابية، كأنهم غير الوهابية في أهمّ ما يمثّل الوهابية ! بل لقد قرأت وسمعت كتب الوهابية في تعبيد الناس للحكم الجبري، فوجدت الوهابية أخفّ منهم في اختراع واختلاق الحجج، وقطعاً لا يبلغون حد استعمال التصوف وكلمات العارفين وتعاليمهم لذلك، ولعل أكثر ما يقوله الوهابية هو أن السلف أوجبوا الخضوع للطاغية. وأما استعمال هذه الأدلة المختلفة فهو أمر

يختص به "أهل السنة" من أمثال الدكتور وأصحابه من الأشاعرة، المُعَبِّدون الجُدد. فلو أنهم فعلاً يعتقدون بأن ما يكون عليه الإنسان من أعمال ومهن وأمور هو ما أقامه الله فيه، فلماذا يعترضون على مَن أقامه الله في نقض الأشعرية وتكفير الصوفية وانتقاص أتباع المذاهب كالوهابية مثلاً، بل لماذا يعترضون على مَن أقامها الإله حاشاه في عمل العهر أو مَن أقامه في تجارة الحشيش أو مَن أقامه في وظيفة "مُغتصب" كما سمعت أنه يوجد في السودان (ولا أدري صحة المعلومة لكن يبدو أنها صحيحة، والفكرة واضحة)، فالوظائف والمهن لا تقتصر على طبيب ومزارع وقاضي وتاجر ومدرّس، بل توجد وظائف كثيرة منها وظيفة السخرية من رئيس مصر كما يتكسّب الكثير من المصريين في الخارج من ذلك عبر قنوات اليوتيوب مثلاً، فهل أقامهم الله في هذه الوظائف؟ إن كان نعم، فاذهب إلى الحكومة المصرية واجعلها تقبل رجوع هؤلاء إلى بلادهم حتى يقوموا بما أقامهم الله فيه ويلتفتون إليه تمام الالتفات وهم مع أهلهم وجيرانهم وأحبابهم. حسناً، جارينا هذا الهراء الإبليسي بما فيه كفاية.

أشير إلى حكاية نقلها ابن عربي في الفتوحات أيضاً، الحاصل منها أنه ذكر فيها أن إبليس احتج على الله تعالى بأنه إنما عصاه في السجود بقدر الله، فسأله الله "متى عرفت أني قدّرت عليك العصيان، قبل العصيان أم بعد العصيان" فقال إبليس "بعد العصيان" فقال الله "بهذا عذّبتك". الفكرة: الذي يُطلعه الله على قدره ثم يعمل العمل لأنه علم الله قدّره عليه شيء، والذي يعمل العمل من عند نفسه ثم بعدما يبرز إلى الوجود يعتبر أن ذلك قدر الله فيه شيء آخر. أصحاب "أقامك الله فيه" هؤلاء هم من هذا الصنف الثاني، صنف إبليس، الذين ينظرون إلى الواقع الذي يرضونه فيقولون "هذا قدر الله"، وينظرون إلى الواقع الذي لا يريدونه فيقولون "أيها الناس، اعملوا كذا، غيّروا كذا، عليكم بكذا". كما فعل ويفعل الدكتور هنا تماماً، فإنه انبرى يدافع وينصح ويأمر وينهى كأنه يكلّم أحرار لديهم قدرة اختيار، لكنه يكلمهم بمنطق الاجبار، وهذا أمر عجيب لكنه ليس عجيباً على مَن يريد استعمال النور لخدمة الظلام. وهذا يكفي في مسألة القدر، ولا نريد أن ندخل في الكسب والاختيار وإضاعة الوقت فيها الآن، ويكفي منها ما ذكرناه، وأنا أعلم رأي الدكتور في هذه المسألة لكن ليس هذا محلّ نقاشه، ويكفي منه ما نبهنا عليه.

استعمال العقيدة لتبرير الحكم الجبري أمر انتقائي عبثي تماماً مثل استعمال قاعدة فقهية خاصة بتفسير وتطبيق خاص. الذي يؤمن بأن الإنسان عبد الله وخليفته المكرّم، وأهمّية الاختيار الطوعي بدون إكراه كأصل أصيل في كل الأمور لا ينقضه إلا العدوان على اختيار الآخر مما يجيز العدوان المقابل (والحق أنه حتى في هذه الحالة لم ينتقض أصل الاختيار، لأن المعتدي أبان عن اختياره بأنه يرفض اختيار غيره فتم تطبيق نفس هذا المبدأ الذي رضيه

وعبّر عن رضاه به بفعله عليه)، الذي يؤمن بهذا فلا يمكن أن يرضى برؤية الناس عموماً والمسلمين خصوصاً في ذلّ الحكم الجبري وتحت أقدام الحاكم الظالم. والذي يؤمن بأن الآخرة خير وأبقى، لا يخوّف الناس من الإصلاح بتعكير الدنيا ولو لفترة، هذا طبعاً مع نسيان أن دنيا أكثر الناس تحت الحكم الجبري عكرة بل نجسة ونكدة.

ترددت في ذكر العلاقة ما بين الدولة المصرية وبين الأزهر (والذي ينتمي إليه الدكتور) والمجلس الأعلى للطرق الصوفية (والذي ينتمي إليه الشيخ علي جمعة، شيخ الدكتور والذي الدكتور يسري مقدّم طريقته الصدّيقية الشاذلية بالمقطّم وهو معتمد لإعطاء عهد الطريقة)، وما يمكن أن ينشأ من بغض لأي حركة سياسية في مصر تغيّر طبيعة نظام الدولة وما يمكن أن يُضعِف هذه المؤسسات الدينية في حال جاءت إلى السلطة أنظمة علمانية أو سلفية وإخوانية لا تجعل لهاتين المؤسستين قيمة مطلقاً أو ولو من باب الإضعاف والتهميش، كوسيلة لتفسير اصطفاف شيوخ الأزهر والتصوف المؤسسي في مصر لجانب الملكية العائلية أو العسكرية في الحاضر والماضي. لأني لا أريد أن أجعل هذه المقالة عن مصر خصوصاً، لكن مَن يريد البحث في هذا الجانب سيجد أموراً مثيرة للاهتمام وتنير بعض جوانب المسألة.

...

٤-{وماهي علامات عودة الخلافة الراشدة مرة أخرى؟
ربنا اللى هيعيدها يبني، احنا مش هنجيب الخلافة، الخلافة ده فعل رباني ، ربنا هيجبها لوحدها ﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾ لما ربنا يشاء تيجي هيخلي كل السياسة العامة والعالمية كلها منقادة. لكن أنت لا تستطيع ، من استعجل شيء قبل أوانه عوقب بحرمانه. اوعي تنسي القاعدة دي، فهمت! انت مش مطلوب لما تموت يسألك الملك في القبر: "لماذا لم تستعيد الخلافة يا يسري ؟" الملك هيسألني كده! مش هأسأل عن هذا. هيسألني يقول: "ما دينك؟ ماذا تقول في هذا الرجل؟" يقوم ربنا يظهرلي النبي ساعتها عند السؤال ده ربنا يظهر النبي. علشان كده يقولك "وماذا تقول في هذا الرجل؟" ابص ألاقي النبي قدامي، اقوله حبيبي سيدنا محمد رسول الله ، واخد بالك! "من ربك؟" الله، ما دينك؟ الإسلام، يبقي هتسأل ده مش هيقولك "لماذا لم تستعيد الخلافة يا مجرم؟" لان دي مش من مسؤولياتك، اللى بيولي مين! ربك، ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ ريحك، ربنا ريحك، انت عايز تبقي رب! تستعيد الخلافة! دي وظائف ربوبية يبني، وانت عبد.}

أقول:

تأمل قبل كل شيء أن الشيخ لا ينكر نفس الخلافة كنظام حكم معتمد أو مرغوب فيه، ولا يأمر السائل عن عودة "الخلافة الراشدة" (أياً كان معنى هذا) بأن يترك هذه الرغبة أصلاً لسبب أو لآخر من قبيل الاستحالة أو وجود ما هو أفضل من الخلافة بنمطها التاريخي المعروف أو ما شابه. فالشيخ يقرّ ويقرر أن الخلافة نظام مرغوب فيه، ومن كلامه يظهر أنه يتأمل عودتها أيضاً، ويراها من الشرف والعظمة بمكان حتى جعلها {فعل رباني} والخليفة يولّيه {ربك}. فبهذا القدر، يوجد اشتراك بين الشيخ وكل دعاة الخلافة.

أما أنا فلا أرى قيمة أصلاً معتبرة لهذه الخلافة بحسب مفهومها عند عموم المسلمين. لأن الخلافة عندهم مأخوذة من الممارسة التاريخية من عهد أبي بكر إلى عهد عثمان، أو إلى عهد علي والحسن. فهذا المحسن فيهم. وكثير منهم يرى أن الدولة الأموية والعباسية والعثمانية هي دول "خلافة" إسلامية. لكن الذين عرفوا ما في هذه الدول وقرأوا التاريخ ونظروا في كتب العلماء وما قالوه في سلاطينها على العموم ويدرك كيف ضجّ المسلمون بسببها وأثاروا ما أثاروه من بغضهم إياها على العموم، ترقّى قليلاً وصار لا يدعو إلى الخلافة فقط بل كما هو حال السائل هنا {عودة الخلافة الراشدة}. فتوجد خلافة راشدة وغير راشدة، وهم يريدون الراشدة. لكن إذا سألتهم: وما هي الخلافة الراشدة بالضبط؟ سيأتي كلام في العادة ينتهي إلى نوع من الفرعنة وإما إلى نوع من أحلام اليقظة. "خلافة" أبي بكر اشتملت على درجة من الاستبداد بالأمر أدّى إلى ما أدّى إليه من اختلاف فوراً بدءاً بعدم مبايعة فاطمة وعلي ومن معهم، وإلى منابذة سعد بن عبادة كبير الخزرج والصحابي الشهير لهم، ثم الانفصال عن مركز المدينة بما عُرف بحروب الردّة وهي حسب الفهم الشائع على الأقلّ بداية الحروب السياسية باسم الدين كما تراه من اسمها، وعلى كل حال لم تستقر الأوضاع لأبي بكر أكثر من سنتين تقريباً ثم يقال بأنه سُمّ أو مات، وإذا صدّقنا ما يقوله الشيعة فالأمر أسوأ بكثير حتى من ما سبق وما سبق كافي. وأما عمر فجاء بعهد من أبي بكر، وأما عثمان فجاء بشورى ستّة من دون بقية الأمّة، والوحيد الذي جاء باختيار عموم الأمّة ورضاها ومع ذلك لم يكن الأمر بذاك التنظيم والترتيب الذي يوجد أفضل منه اليوم هو علي مع ما حدث في زمنه مما يعلمه الجميع. باختصار، أحسن ما في "الخلافة الراشدة" لا يساوي النمط المعتاد لدولة صغيرة ديمقراطية اليوم من حيث تفعيل أصول الشورى العامّة ومصلحة الأمّة وسلطتها. أعلى الخلافة الراشدة لا يبلغ أوسط الديمقراطية المعاصرة. هذا من حيث النظام السياسي. وأما مَن يرى أن الخليفة هو خليفة الله بالمعنى الذي يشرحه ابن عربي في فصوص الحكم مثلاً، فهذا ليس من شأن أكثر دعاة الخلافة ولا هم منه في شيء. فلا ندخل فيه.

لكن على أية حال، لنقل بأن موضوع الفقرة هنا وهو الخلافة الراشدة عبارة عن الحكم الاختياري والعادل بشكل عام، يعني خلافاً للحكم الجبري ورئاسة الحاكم الظالم. الآن، ما هو جواب الشيخ؟ جوابه مبني على الجبرية العقائدية بأسوأ الصور، مع استغلال سيء لآيتين من كتاب الله، وحديث نبوي. كالعادة.

فأما العقيدة الجبرية، الاستسلامية الانهزامية بل الكاذبة لأنه يُخاطب الناس كأحرار يعقلون ويختارون وهو يريد توجيه عقولهم بأفكاره وإرادتهم بأوامره ونواهيه بل وسخريته وشتائمه كما ترى في هذه الفقرة وعامة كلامه، فهي قوله أن ربنا هو الذي سيعيد الخلافة وليس نحن. باختصار، لما يشاء الله إعادة الخلافة ستعود. ما معنى لما يشاء الله؟ لا ندري، إحالة مطلقة على الغيب. لكن توجد إشارة واحدة غريبة وهي قوله {لما ربنا يشاء تيجي هيخلي كل السياسة العامة والعالمية كلها منقادة}، يعني ماذا بالضبط؟ كلام ضبابي غرضه إيهامك بأنك فهمت شيئاً، والحق أنك لا أنت فهمت ولا المتكلّم يفهم ما يقول. حرفياً، الكلام يوهم وتماماً كتفكير اليهود (تذكّر "لتتبعن سنن من كان قبلكم") الذين يعتقدون بأن المسيح المخلّص حين يرجع سيجعل الرب الأمم كلها تحرر اليهود المشتتين وبطريقة مبهمة وإعجازية وغريبة فجأة كل الأمم ستخدم اليهود وترجع لهم دولتهم في فلسطين وما أشبه. فهنا نجد نسخة أخرى من ذلك. ولا أدري من أين جاء الشيخ بهذا التفسير لكيفية عودة الخلافة، أو عمل أي شيء على الأرض، فهذا ليس في كتاب الله، وكتاب الله كافي وهادي، بل ولا حتى في الروايات الصحيحة على ما أذكر وإن كانت الروايات صيغت أحياناً بطريقة تناسب تدجين العامّة خصوصاً من قبل المنافقين الذين صاروا رواة للدول الاستبدادية لكن لا نريد الدخول في هذا الآن. يكفي أن اعتبار الخلافة كنظام سياسي مثلها مثل أي نظام سياسي آخر، لا يجوز النظر إليها على أنها فعل خارق للعادة بأي شكل، فلا تاريخياً لا من عهد النبي ولا من بعده أثناء "الخلافة الراشدة" كان أي أحد ينتظر أفعال خارقة من {السياسة العامة والعالمية} لصنع شيء. الأنصار جاءوا وبايعوا النبي فهاجر إليهم واتخذ وسائل وأسباباً عادية ومنها التخفي عن الأنظار والتمويه وما أشبه وحرسه الله في عمله هذا فلم يحمله على براق بل وكان النبي يدور على القبائل يبحث عن مَن يحميه ويدعو إلى نفسه ويتحمّل المشاق حتى جاء الأوس والخزرج ليس لأنهم آمنوا بروحانية النبي فقط بل لأنه رأوا فيه وسيلة لتوحيد القبيلتين المتنازعتين فوجدوا فيه غرضاً سياسياً يناسبهم أيضاً ويغيّر اهتمامهم من ذبح بعضهم بعضاً إلى التوحيد ما بينهما وتوجيه طاقة الحرب إلى الخارج ولغرض شريف بعدما كانت لغرض عصبية مقيت وهذا

تجده بوضوح وبنصّ أصحاب الشأن من الأنصار أنفسهم في كتب كالسيرة الحلبية وغيرها وهو أمر مشهور وليس سرّاً يُكشَف، ومن هنا تفهم لماذا كان أهل "النفاق" هم عموماً من أصحاب ابن سلول الذي كان سيُنصَّب ملكاً عليهم فرأى أن النبي استلبه ملكه، وكذلك تفهم لماذا كانت تثور مشاكل بين الأوس والخزرج حتى والنبي بينهم بل كانوا في البداية على الأقلّ لا يصلّي أحدهم إلا خلف إمام من قومه خاصة كما تذكر بعض الروايات، وكذلك اشتعال الدعوى الجاهلية المنتنة بينهم بين الحين والآخر، فالإسلام لم يحوّلهم بالسّحر إلى مؤمنين خالصين يطلبون الروح المجردة، بل آية "إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً" كافية لتعطيك تصوراً عن وضع المجتمع حينها عموماً حيث فضّل أغلبية من في المسجد أن اللهو والتجارة على الاستماع للنبي وكذلك كثرة الفرار والهزيمة وترك النبي وعصيانه في مواضع كثيرة، وقوله تعالى "منكم من يريد الدنيا" وهكذا مما يكشف لك أن "نظام" حكم النبي نفسه لم يكن مؤسساً لا بطريقة إعجازية خارقة على طريقة {ربنا اللي هيعيدها يبني} ولا كان أهلها كذلك كلهم ممن ينتظر الخوارق والمخارق ليقيم لنفسه نظاماً سياسياً محترماً نسبياً يتناسب مع أغراضهم ومقاصدهم. فهذا في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتستطيع تخيّل حال مَن بعده بطريقة أسهل. اقرأ ماذا حدث بعد وفاة النبي. لا الأنصار جلسوا في بيوتهم، كل واحد "يلتفت لما أقامه الله فيه" من الزراعة والتجارة، إلى أن جاء الله بالنظام الجديد، كما يريد شيوخ المذلة والتعبيد، بل قاموا واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ودار بينهم ما دار. ولا عمر وابن أبي قحافة وابن الجراح فعلوا نفس الشيء بحيث التفتوا إلى ما أقامهم الله فيه، بل ولا حتى التفتوا إلى تغسيل النبي ودفنه، حتى ذهبوا وصاروا ينازعون الأنصار في السقيفة وقالوا ما قالوا وجادلوا بما جادلوا به وصار ما صار من خلاف ونزو وتهديد. وعلى هذا النمط، لا يوجد أحد من هؤلاء، لا علي ومن معه، ولا عمر ومن معه، ولا الأنصار، بل ولا معاوية ومن معه، ولا أحد من هؤلاء ممن تنسبون لهم {الخلافة الراشدة} أو غير الراشدة إلا وكان فعالاً متحركاً يسعى ويجادل ويدبّر ويعمل نجح أو فشل، يصبر ثم يتوثب، يدرس ويدعو ثم يقوم، وهذا كان النمط المعتاد لحركة المسلمين من المؤمنين والمنافقين على السواء في ذلك الزمان، بل وما بعده عبر التاريخ في كثير من محطاته. فكرة {الخلافة دِه فعل رباني} هي عقيدة عبيد لم يشمّ المسلمون لها رائحة، وما كان لا النبي ولا من بعده ليعرفوا لها طعماً ولا مستساغاً. هذا بالنسبة لمن يعكف على التاريخ.

وأما مَن يجلس عند القرءان، فالأمر عنده أوضح وأيسر. الاعتراض بأقدار الله كتبرير لعدم أفعال العباد، هو عمل إبليسي من وجه وأخسّ من عمل إبليس من وجه آخر لأن إبليس نفسه

لم يقل "الإضلال فعل رباني يا ابني، الله يضلّ من يشاء، وأنا سأجلس في بيتي وأترك الناس يضلّون" بل قام إبليس ودعا ربّه وهو فعل من عنده "رب أنظرني" فأجابه الله وأعطاه ما يريده لأن الله مغيث يغيث حتى أهل النار بما يناسبهم "وإن يستغيثوا يُغاثوا"، كما أنه يغيث أهل الإيمان بما يناسبهم "إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم"، ثم قام إبليس وصار يضلّ ويشتغل ليل نهار ليحقق ما يريده، وممن أحسن إبليس عمله فيهم وصدّق عليهم ظنّه هم شيوخ الضلالة الذين حقّروا المسلمين وسعوا في تعبيدهم بمكر الليل والنهار ليكونوا مجرد دواب يركبها الأرباب بل الكلاب. وأما بالنسبة لآدم والرسل فالأمر أظهر وأكبر، فهم أهل عمل وأولي أيدي وأبصار.

ما الفرق حقيقةً بين النظام السياسي والتعاقد بين الناس فيه، وبين أي نظام اجتماعي والتعاقد بين الناس لإقامته ووضع شروطه وتفاصيله بالتراضي؟ لا يوجد أدنى فرق في الجوهر. النكاح أيضاً نظام اجتماعي، وعقد فيه إيجاب وقبول وشروط وحقوق وواجبات لابد من مراقبتها والقيام عليها والبتّ فيها إن نشب خلاف. لا أحد حسب علمي، ولا شيخ {فعل رباني} هذا يقول بأن الإنسان لا ينكح إلا بفعل رباني وليس باستطاعتك بمعنى أنه يجب عليك أن تجلس في بيتك حتى يأتيك النكاح لباب بيتك بل لغرفة نومك ويُخرجك المجتمع والسياسة العالمية من غرفة نومك لكي تنكح ولا أدري إن كان الشيخ يقول أيضاً بأنه يجب أن يداعبوك حتى تتهيّج وتقوم بعملية النكاح حذراً من نسبة فعل النكاح لك والعياذ بالله بحكم أنه أيضاً وعلى القياس {فعل رباني}. الاحتجاج بقدر الله لتعجيز عباد الله، غباء بل قلة أدب بل كفر. أحسن ما يقال في هذا الباب هو ما قاله النبي "استعن بالله ولا تعجز". هذا التواكل والتخاذل يوهم قائله أو سامعه بأن صاحبه غريق في بحار القدرة الإلهية وأعمته سطوات أنوار المشيئة الربانية لدرجة أنه صار فانياً هائماً وصار كورقة في مهبّ الريح. يتكلّمون كالمجاذيب لكن يتصرّفون كالأحرار بل وحتى يعظون الناس على أساس الحرية في الاختيار ووجوب إقامة الأحكام الشرعية. كما ترى الدكتور نفسه قال قبلها بأنه على كل واحد أن يقيم ما أقامه الله فيه حسب تعبيره، فعلى الطبيب الاشتغال بالطب (ويا ليته اشتغل بالطب وترك عنه هذا الترويج بالجبر والدفاع عن الجبرية) وعلى التاجر أن لا يغش، وهكذا صار يدعو كل صاحب مهنة للعمل وحسن الاختيار ويحذره من سوء الاختيار. فما الفرق بين هذا وبين أي أمر آخر إن كنا نتكلّم عن علاقة فعل الإنسان بفعل الله تعالى وتدبيره واختياره؟ إما أن الكل فعل رباني، وإما أنه لا شيء فعل رباني بالمعنى الذي يريده الشيخ هنا. فإذا كان الكل فعل رباني ولا فاعل إلا الله بالمعنى الذي يريده الشيخ في مسألة الخلافة خصوصاً، فالواجب ترك كل شيء وعدم السعي لإقامة أي عمل ومهنة وعلاقة وتعاقد ونظام بل ولابد حتى من حلّ كل الطرق

الصوفية لأن كل هذه {وظائف ربوبية يا ابني}. هؤلاء يقولون لا حول ولا قوة إلا لله، والنبي يقول لا حول ولا قوة إلا بالله. بل هم لا يلتزمون حتى بلوازم قولهم، اللوازم الضرورية. فرق كبير بين أن يقول لك، أنت لا تستطيع الإتيان بالخلافة الآن لأن الشروط غير متوفرة والسياسة العامة والعالمية ضد إقامتها وكل المسلمين في الأرض لا يستطيعون تحويل الحكم الجبري إلى حكم اختياري في بلادهم، ويسكت. وبين أن يقول لك أن الخلافة {فعل رباني} و {وظائف ربوبية} و {لما يشاء} ستأتي الخلافة. فرق بين ادعاء العجز في الطبيعة وبين إحالة العجز على الله. الخلط بينهما هو الدجل أو الجهل في أحسن الأحوال.

أما احتجاج الشيخ بقول يوسف {إن ربي لطيف لما يشاء}، فأقلّ ما يقال فيه أنه تحريف وضرب لبعض الكتاب ببعض. فالله أيضاً يقول {لمن شاء منكم أن يستقيم} ويقول {من شاء فليؤمن} ويقول {اعملوا ما شئتم} ويقول {يريدون وجهه} ويقول {إن أردتم استبدال زوج مكان زوج}، وآيات كثيرة جداً بل القرءان من أوله إلى آخره في تعليم العقل وتوجيه الإرادة. فكما أن الله أثبت اختيار الإنسان في {استبدال زوج مكان زوج} فهو هو الحال في استبدال حكم بحكم، ونظام بنظام، وعقد بعقد، وحاكم بحاكم. هذا جواب يردّ تحريفه. وأما في قصة يوسف نفسها، فالأمثلة نفسها تدلّك على الاختيار الإنساني، بدءاً من يوسف الذي اختار أن يقصّ رؤياه على أبيه، ثم نهي أبيه له {لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً} فيوسف لم يكن آلة تسيّرها اليد الإلهية بالمعنى الجبري الكفري على طريقة المشركين "قال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء"، مروراً بإخوة يوسف وقد صاروا كما يقال أنبياء بعد ذلك "ألقوه في غيابت الجب" وقد فعلوا ونسب الله الفعل لهم "أجمعوا أمرهم" وقال "ألقوه في غياب الجب" ثم بيّن ليوسف "لتنبئهم بأمرهم هذا" فنسب الأمر لهم وليس له تعالى. ثم بلغ يوسف ما بلغ وقالت له امرأة العزيز "هيت لك" فاختار واستعصم وقال "معاذ بالله إنه ربي أحسن مثواي" فبيّن حجّته التي استعصم بها فعصمه الله، فكما أن "اذكروني" من العبد تدعو إلى "أذكركم" من الله فكذلك من استعصم بالله عصمه الله ومن استهدى الله هداه، فصبر يوسف واستبقا الباب حتى يفرّ منها ثم لما ألفيا سيد المرأة لدى الباب قال يوسف "هي راودتني عن نفسي" فنسب فعل المراودة لها وليس لله. ثم لما أرادت النسوة منه على ما يبدو الشهوة قال يوسف لربه ودعاه والدعاء فعل منه "رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه" فاختار وفضّل حتى وهو يكلّم ربّه، "وإلا تصرف عنّي كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين" فعرف ضعفه واستعاذ بربّه فأعاذه ربه، فكذلك هؤلاء المشايخ لو فعلاً شعروا بالعجز وفضّلوا العيش بحرية وكرامة وفي حكم اختياري بدلاً من الحكم الجبري واستعاذوا بالله

وسـألوه الإمـداد لأمـدّهـم إن صـدقـوه وجـاهـدوا ولـم يتقاعـدوا فـهم مـن القـاعديـن والـخالفين فـي الـحقيقة وإن زعموا أنـهم أهـل تـوكل واعتماد عـلى الله فهذا حكمهم فـي القرءان وحكم كل من يفكّر ويتصرف بمثل طريقتهم هذه. ثم دخل يوسف السجن، بقي محسناً تقياً، فلما جاؤوه بالرؤيا قال "لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله" فنسب الإنباء بالتأويل لنفسه ولم ينسبه لله، "ذلكما مما علمني ربي" فلا تعارض بين تعليم الله له وبين فعل الإنباء منه، لكنه نسب الإنباء له والتعليم فيه لربه ولم ينسب الفعل لربّه كله أوله وآخره وظاهره وباطنه حتى قال الله بعد ذلك "وقال للذي ظنّ أنه ناج منهما" فسماه ظنّاً لأن كل ما لم يتحقق هو ظن بالنسبة للخلق وإن كان يقيناً في نفس الأمر عند الله، وفي السجن صار يوسف يدعو إلى الحق ويجادل صاحبيه وكان مما قاله "إني تركتُ ملّة قوم" فنسب الترك له، "لا يؤمنون" فبيّن علّة تركه، وقال "واتبعتُ ملّة آبائي..ما كان لنا أن نشرك بالله" فنسب الاتباع له، وتذكّر فضل الله ولم يراه متعارضاً مع اختياره الاتباع ومسؤوليته عن التوحيد وترك الشرك ولذلك دعا الفتيان إلى ترك الشرك وتحكيم الله تعالى "إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه"، لكن فات فتيان السجن حجّة مشايخ الدجل الجبرية فكان ينبغي عليهم أن يقولوا له "الدين أمر رباني يا يوسف يا ابني، والله يفتح لمن يشاء ويهدي من يشاء ويؤدي الدين مَن يشاء وينزع الدين ممن يشاء، أنت عبد لا تستطيع تغيير دين نفسك ولا دين غيرك، فلماذا تدعونا وتأمرنا وتنهانا"، أو لنقل بعبارة أحسن، أنه ولا حتى المشركين الذين كانوا مع يوسف هبطوا إلى هذا المستوى من السفسطة. ثم خرج يوسف وأخبرهم بتأويل رؤيا الملك، وهذه مصيبة للجبرية، لأن أول كلمة خرجت من فم يوسف هي "تزرعون" فنسب فعل الزراعة لهم، كيف ! والله يقول "ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون" فيبدو أن يوسف لم يفهم التوحيد، توحيد الجبرية طبعا، أما توحيد الأنبياء فهو شيء آخر، واستمر يوسف "تزرعون..فما حصدتم..فذروه..تأكلون..تحصنون..فيه يعصرون" ستّة أفعال نسبها يوسف كلها للناس وأمرهم بها حتى يخرجوا من المجاعة القادمة بـ"قدر الله". ثم جاء الرسول فقال له يوسف "ارجع إلى ربك" فأمره بالرجوع، لماذا وهو لا اختيار له ولا يستطيع أن يرجع ولا أن يقدم، بل لماذا لم "يلتفت يوسف لما أقامه الله فيه" حين جاء إلى حد عنده بسبب إطلاقه من السجن وهو مظلوم بل قرر الاختيار والخروج بحسب ما يريده هو ولا يكون مجرّد آلة وورقة في مهب الريح بل خرج بشروطه وبعد تمام ما يريده وإن كان سبب الإطلاق والتحرير جاءه لحد عنده فقال "ارجع إلى ربك فسأله ما بال النسوة". بعد ذلك دخل يوسف عند الملك فقال للملك "اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" والعياذ بالله ! نسب الجعل للملك وهو بشر وعبد، ثم لم يلبث يوسف حتى نسب لنفسه اسم "حفيظ عليم" وهما أسماء إلهية في الأصل فالله هو الحفيظ العليم، فطلب يوسف العمل والتحكم

والتصرف في الأرض بدلاً من أن يسكت ويجلس كالخشبة المسندة وينتظر الملك صاحب السياسة العامة لكي يعرضها عليه وهو في بيته يلفّ السبحة ويعلّم فقه الحيض ودقائق النجاسات وحكايات السابقين، على أية حال، يوسف لم يدرس التوحيد عند الجبرية والذين يعتقدون أن أمور السياسة راجعة إلى {فعل رباني} و {وظائف ربوبية}. ثم جاء إخوة يوسف فصار يأمرهم وينهاهم ويجعلهم يذهبون ويأتون ويكيد لهم ويضع الحيل لينبههم حتى تنبهوا، واقرأ الآيات فكلها أفعال منه ومنهم. ثم قال يوسف "ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين" فكما ترى بدأ بأمر وفعل منهم "ادخلوا" ووسّط المشيئة الإلهية فلا تعارض بين الفعل الإنساني والمشيئة الإلهية إذن حتى يقال بأن المشيئة تقتضي عدم الفعل وعدم الاستطاعة. ثم "رفع أبويه على العرش" فهو الذي رفع، يوسف الذي رفع، "وخروا له سجداً" هم الذين خرّوا فالفعل فعلهم بعدما آمنوا واعترفوا وتابوا. وفي هذا السياق قال يوسف العبارة التي اقتطعها الشيخ من القصة كلها وهي {إن ربي لطيف لما يشاء} حتى يوهم الناس أن يوسف أيضاً كان جبرياً متواكلاً متخاذلاً.

أما الآية الثانية التي استشهد بها الشيخ فهي قوله أن ربنا هو الذي يولّي، مما يعني أنك أنت يا إنسان لا تولّي. نفس المنطق الخبيث وأسلوب المشركين في الاحتجاج. فيقرأ آية أوّل كلمة منها كافية لإبطال ما يريده منها وهي قوله {قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك مَن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء}، أولها {قل} وهو أمر لمختار له مشيئة لأن يقول، ولذلك خاطبه في آية أخرى " يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس" فالرسول نفسه لم يكن يبلغ ويقول أوتوماتيكياً كأنه روبوت، بل كان يقول ويبلغ باختياره، وحين لا يحسن الاختيار من وجه لسبب مثل "تخشى الناس" فيأتيه ما يردّه إلى الأحسن والأسلم، كما لو قيّد نفسه بنحو لا ينبغي فيقول له "يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك". فالنبي كان يقول لأنه يشاء أن يقول، ليس لأنه مجبور لكي يقول. هذا أولاً. ثانياً، هذه الآية نفسها، أقصد {تؤتي الملك}، التي يستعملها الوهابية لتبرير ملك صاحبهم، وهكذا يمكن أن يستعملها أي شخص بحجّة أن ما حصل عليه من ملك هو بتولية الله لهم. طيب، وماذا عن فرعون؟ قال مؤمن آل فرعون "لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض"، فأثبت لهم الملك، بالتالي على القاعدة الجبرية يكون الله هو الذي آتى فرعون الملك، ويعزز هذا قول موسى في دعائه {ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيل} حسناً إلى هنا هذا لعله يناسب الفكر الجبري لأنه نسب ما حصل عليه فرعون إلى إيتاء ربنا، {إنك آتيت فرعون}، طيب، الآن ما الذي كان على موسى القيام به حسب المنطق

الجبري لهذا الشيخ وغيره؟ كان المفروض أن يقول: ربنا فصبّرني على هذا الملك الظالم والحكم الجبري. بل كان المفروض أن لا يقول شيئاً أصلاً. فماذا فعل موسى بعدما أقرّ واعترف وهو يناجي ربّه أن ربه هو الذي آتى فرعون هذه الأمور الدنيوية؟ والعياذ بالله، فعل أمراً كبيراً وخطيراً، ولعل بعض المشايخ يفتون بفساد عقيدته عليه السلام وعليهم اللعنة من قوم راسخين في الإجرام، قال موسى {ربنا فاطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم}، الله أكبر، الله يؤتيهم الأموال باعترافك يا موسى {ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً} ثم مع ذلك تتجرأ يا موسى على الاعتراض على قدر الله بأن تدعو الله لكي يغيّر قدره فيتحوّل أمرهم إلى السلب والعدم والإفلاس أو بتعبير القرءان "أخرجناهم من جنّات وعيون.". يعني موسى فهم القدر بطريقة مختلفة. موسى اعترف أن الله آتى فرعون الأموال، لكنه لم يسكت ولم يدعو بالبركة لفرعون، بل دعا على أموالهم هذه بالطمس، يعني بقدر الله غيّر قدر الله، وفرّ من قدر الله إلى قدر الله إن شئت حسب العبارة العمرية المشهورة.

طيب. مثال آخر. سليمان وملكة سبأ. قال الهدهد {وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم}، إذن أثبت لها الملك. فعلى قاعدة وتفسير الجبرية لآية {تؤتي الملك من تشاء} فملكة سبأ الله آتاها الملك. وعلى تفسيرهم لشقّ {تنزع الملك ممن تشاء} فالمعنى أنه يجب على المماليك والعبيد تحديداً أن يفعلوا شيئاً لهذا الملك الجبري "امرأة تملكهم" لأنه بتمليك الله لها، فالله هو الذي ينزعه لا الإنسان، فيوجد تعارض بين فعل الله وفعل الإنسان في هذا الأمر إذن. الآن، ماذا فعل سليمان؟ هو كتاب واحد وبعده سيبيد نظامهم من على وجه الأرض، "لنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلّة وهم صاغرون".

ثم لنبسّط الأمر أكثر حتى تنقطع حجّة الجهلة والمنافقين بل والمشركين. تملّك أي إنسان لأي شيء، هو أيضاً من {الملك} الذي يؤتيه الله وينزعه الله. النظام السياسي ملك بأي معنى؟ هو إما ملك إنسان وإما ملك أعيان، هذه خلاصته. يعني إما تصرف في إنسان بالأمر والنهي والقتل والضرب والحبس وما أشبه، وإما تصرف في أعيان مادية كالأرض والمزروعات والمصنوعات والأموال عموماً بجباية الضرائب وإنفاقها. من هذا الوجه، لا يوجد أحدّ وحتى هذا الشيخ الجبري وغيره، إلا ويقرّ بأن الإنسان يحق له بل أحياناً يجب عليه أن يؤتي إنساناً آخراً ملكاً أو ينزعه منه، ويجب عليه فعل ذلك ويتصرف فيه بل ويجاهد من أجله أحياناً. الفقه الإسلامي كله مبني على التصرف في الإنسان والتصرف في الأعيان، إما في النفس وإما في الغير. لو صدقنا هؤلاء الجبرية، والعياذ بالله، لوجب مثلاً أن نبطل كل باب فيه تغيير ملك أي إنسان لأي شيء. كمثال بسيط، باب الحجر على السفيه، يصبح من حق السفيه أن يقول للذين يريدون الحجر عليه "هذا المال ملكي، والله آتاني إياه، فهل تريدون أن تنزعوا مني ملكاً

آتاني الله إياه وتعترضون على قدر الله فيّ"، أو مثلاً رجل طلق امرأته ففرض القاضي عليه النفقة لها فيجب عليه أيضاً أن يحتجّ بآية {تنزع الملك ممن تشاء} فنسب النزع للمشيئة الإلهية فقط بالتالي لا يجوز لمشيئة إنسان أن تسعى لنزع الملك عن مالكه، طبعاً من الواضح للجميع أن الشرطة حين تذهب إلى هذا الرجل قد تضربه على قفاه-إن كان في بلد جبري خصوصاً حيث كرامة الإنسان العامّي صفر- وتأخذ أمواله غصباً عنه وتعطيها لزوجته إن اضطر الأمر بعد أن تضحك عليه على محاولته هذه.

قال الله تكليفاً للمؤمنين {آتوهم من مال الله الذي آتاكم} وقال {أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه} وقال {إذا حضر القسمة أولي القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه}. فجعل الإنسان وسيلة في إيتاء إنساناً آخراً ملكاً ما. فقوله {تؤتي الملك من تشاء} لا يعني أن كل مالك لشيء يستحق أو يجب أن لا يتخلى أو لا يسعى الناس في نزع ملكه هذا منه. ومن ذلك فرار موسى وبني إسرائيل تحت ستر الليل وهم عبيد عند فرعون، "وقومهما لنا عابدون" و "عبّدت بني إسرائيل"، فهذا من تجريد فرعون من أملاكه وعبيده بغير إذنه ورضاه ولذلك أتبعهم فرعون بجنوده، بل وزيادة، لم يخرجوا حتى أخذوا معهم "زينة القوم" فهذا نزع آخر لملكية غيرهم.

قال بنو إسرائيل لنبي لهم {ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله} بحجّة أنهم قد أُخرجوا من ديارهم. ديارهم من أملاكهم، إخراجهم نزع لملكيتهم، فعلى الطريقة الجبرية كان ينبغي لنبيهم أن يقول لهم "هذا فعل الله فيكم، آتاكم ملك هذه الديار ثم نزعها منكم وهو يفعل ما يشاء فلا تعترضوا على قدر الله، يا ابني هذه وظائف ربوبية، حين يريد أن يردّ لكم دياركم سيجعل السياسة العالمية تقنع عمّ جالوت ليردّها لكم، التفت لما أقامك الله فيه يا مجرم !". اللطيف أنه في هذه الآية ذكر النبي لهم {الله يؤتي ملكه من يشاء}، فتعال وانظر كيفية وطبيعة إيتاء الله ملكه من يشاء. أولاً، من الذي طلب بعث هذا الملك؟ هم، الناس أنفسهم، بنو إسرائيل، كما قال في أول الآية {أم تر إلى الملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً} فهذا حكم اختياري هم الذين ذهبوا وطلبوا ولم يجبرهم أحد، بل هم الذين قالوا {لنبي لهم} أن يبعثه يعني باختيار الله لهم، وإلا فقد كان بإمكانهم إن شاؤوا أن يتشاوروا فيما بينهم ويختاروا من بينهم ملكاً يقودهم في حرب استعادة ديارهم لكنهم لم يفعلوا، فالأمر اختياري إذن من أصله. ثانياً، اشترط عليهم النبي الالتزام بكلامهم هذا فقال لهم {هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألا تقاتلوا} فالتزموا. ثم لما بعث الله لهم طالوت ملكاً، لم يأتي طالوت بعصابة عسكر أو قبيلة بدو ويسيطر عليهم بالذبح والقتل والتعذيب وأمن الدولة، بل جاء وحده وبتعريف من النبي الذي رجعوا هم إليه في البدء. ثالثاً، حين جاء طالوت اعترضوا على ملكه، {أنى يكون له الملك علينا

ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال}، فمن الذي دافع عن طالوت؟ أمن الدولة؟ لا، النبي نفسه وبالقول فقط، ولم يجبرهم حتى على قبوله بل بيّن لهم وذكر لهم آيات مثل {إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم} خلافاً للملوك المجرمين الطاغين الذين يسمّيهم شيوخ الدجل بل الكفر بأنهم ملوك آتاهم الله الملك وأن حكمهم الجبري الظالم هو ملك الله آتاهم إياه كفراً بالله واستهزاءً بأمره وهم يشعرون أو لا يشعرون، فإن الملاحدة الذين يسمونهم ملوك بتمليك الله لا يأتون بآية من الله ولا بإقناع الناس، فلا يأتون من يعارضهم بتابوت فيه سكينة من ربّهم بل يأتونهم بسكاكين حديدية ويضعونهم في توابيت تُرجعهم إلى ربهم. رابعاً، حتى بعد تعريف النبي والآية، لم يؤمنوا ويُسلّموا لطالوت، فماذا فعل طالوت؟ قتلهم وأدخلهم سجن العقرب؟ كلا، بكل بساطة تركهم ومضى، ولم يمسّ شعرة من رؤوسهم بالرغم من أنهم قد طعنوا في الملك بل وحرّشوا الناس عليه بادعاء أنه ليس أهلاً للملك ورفضهم طاعته، ومع ذلك لا النبي ولا طالوت فعل بهم شيئاً بل تركهم ومضى، بل وزاد على ذلك بأن وضع لهم امتحاناً حتى يطرد المزيد منهم عن اتباعه فقال {فمن شرب منه فليس منّي} ولم يقل: فمن شرب منه سأقطع رأسه أو أبعثه للصعق الكهربائي. هذا مثال على {الله يؤتي ملكه من يشاء} لمن يريد أن يعرف كيف يؤتي الله ملكه على الحقيقة الشرعية.

هذا بالنسبة لعبث الشيخ بالقرءان لتأييد المجرمين ومظاهرتهم على أهل مصر. فمن كان من أهل الإيمان فليقل يا للنار، ومن كان من أهل العقل فليقل يا للعار.

فماذا عن الحديث النبوي؟ لابد أيضاً من العبث في الحديث النبوي وتسخيره للطاغين، فهذه صنعة قديمة للشيوخ. فتعالوا نستعين بالله ونسأله الصبر على هذا البلاء فبدلاً من أن يساعدنا الشيوخ على الخير يضعون أمام الأمّة عراقيل الجهل والشرّ، لكن الله غالب، وتعالوا ننظر بهدوء بإذن الله.

الشيخ هنا يحتجّ بحديث السؤال في القبر. ومضمونه أن منكر ونكير في القبر سيمتحنا الإنسان عن ثلاثة أمور: من ربك وما دينك ومن نبيك. وهذا الحديث يُروى في ذيل آية {يثبّت الله الذين ءآمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة}. وبما أن الامتحان ليس فيه سؤال عن استعادة الخلافة مثل {لماذا لم تستعيد الخلافة؟} كما أنه يوجد سؤال عن الرب والدين والنبي، بالتالي استعادة الخلافة ليست من مسؤوليات المؤمن وغير مطلوب من المؤمن استعادة الخلافة.

الجواب يمكن أن يكون شكلياً يتضمّن نقد قيمة هذه الرواية من أساسها، من قبيل أنها رواية آحاد ومعظم الروايات فيها تدور حول البراء بن عازب. أو يمكن الكلام عن موضوع عذاب

القبر وأنه غير يقيني. أو أن ألفاظ الحديث مختلفة، ونوعية الأسئلة وعددها وصورتها أيضاً مختلفة. أو أن هذا المعنى غير مبيّن في القرءان وربط هذا المعنى بالقرءآن من قبيل الوضع والاختراع اللاحق ويبدو للدارس من هذه الناحية أن سبب الوضع سياسي من حيث أنهم هوّلوا للناس فتنة القبر (مع أن الله يذكر أن الفتن هي في هذه الدنيا والابتلاءات فيها وبعد الموت لا يوجد إلا الحساب) لكنهم يرون أن الناس ترى القبور ولا ترى ما بعد الموت من عوالم أخرى، فربطوا للناس أهوال عظيمة بالقبر ومنكر ونكير وأنياب ورعد وقصف وما إلى ذلك، حتى إذا ضاقت قلوب الناس من الخوف وضعوا لهم رواية فيها مخرج من ذلك كله وهو أن تُقتَل شهيداً فتتخلص من كل ذلك وذلك ما أخرجه النسائي عن راشد بن سعد رضي الله عنه " أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد، فقال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة". ومعنى الشهيد في سياق التاريخ الإسلامي الأول هو المشاركة في حروب توسعة الدولة والقتال مجاناً لصالحها والتضحية بنفسك من أجلها، والذي سمّوه جهاداً في سبيل الله زوراً بشكل عام إلا ما استُثني. هذا النوع من الانتقادات ممكن، لكن شخصياً لا أريد اعتماده. لنفترض أن الرواية صحيحة، وأن الروايات يكمّل بعضها بعضاً في المعنى. فهل يوجد فيها مستمسك للشيخ ومن يريد أن يذهب مذهبه؟ جوابي هو لا، ولا قاطعة.

لماذا الجواب لا؟

أوّلاً، لمعارضة القرءان في المعنى. فالله تعالى لن يحاسب الإنسان فقط على ثلاثة مواضيع هي من ربك وما دينك ومن نبيك. بل توجد أمور كثيرة في الإيمان والأعمال والأخلاق داخلة في الحساب. والنجاة لن تكون فقط بهذه الأجوبة البسيطة الثلاثة وكأننا في امتحان صفّ أول ابتدائي. مَن قرأ القرءان يقرأ فيه "ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كُلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله" فالأمر أوسع من ذلك في باب الإيمان. وفي باب الأعمال أيضاً، توجد وصايا وأحكام كثيرة من قبيل الإحسان للوالدين والقتل والفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق والقول على الله بغير علم وأكل مال اليتيم والقائمة تطول، فإذا كان الله قد قال في أكل مال اليتيم فقط "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً" فحتى لو قال الإنسان ما قال فأمامه هذا الوعيد لهذا العمل الشنيع والعياذ بالله. فهذا التسخيف للدين، وهو أمر تقوم به ملّة الروايات خلافاً لملّة الايات، تستطيع أن تجد مثالاً واضحاً له في استدلال الشيخ وأشباهه وخصوصاً في المواضع الصعبة والمهمة. من قبيل حديث أركان الإسلام الخمسة الذي هو أيضاً لا أصل له لا في القرءان ولا حتى في الروايات نفسها فإن بعضها يزيد وبعضها ينقص وبعضها فيه أمور أخرى جوهرية لم تُذكَر في حديث الخمسة المشهور الذي اعتمدوه وكأنه لا شيء غيره بالرغم

من كل الانتقادات الصالحة عليه، فتجد رواية قدوم شخص على عبدالله ابن عمر وسؤاله عن سبب عدم جهاده فردّ عليه بأن الإسلام بُني على خمس وذكر الحديث، يعني بما أن الجهاد ليس من أركان الإسلام فأستطيع أن لا أجاهد، وهكذا يبرر قعوده وتخاذله عن قتال أهل البغي مع أهل الحق برواية فيها ما فيها وهجر القرءان وأمره الصريح في المسألة "قاتلوا في سبيل الله" و "قاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله". نفس النمط من صنع ملّة للدواجن، لا ملّة للأوادم، هو ما يستعمله الشيخ هنا تماماً. تسخيف وتسطيح تام، وضرب بعض الآيات ببعض وضرب بعض الروايات ببعض بدلاً من التكامل بينها إن كانت كلها صحيحة وصادقة.

ثانياً، في رواية أخرى عن النبي وهي صحيحة وصريحة ويعرفها الشيخ قطعاً وينقلها للناس، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه". فهنا نجد أربعة أسئلة، لا يوجد ولا واحد منها عن ربك ودينك ونبيك بالمعنى الشائع للحديث الأول الذي استشهد به الشيخ، ومع ذلك تستطيع رؤية خطورة هذه الأربعة في حديث النبي. فعلى طريقة تفكير الشيخ واحتجاجه هنا، يمكن للإنسان أن يقول لمن يدعوه إلى الاهتمام بأمر عمره وجسده وعلمه وماله "يا أخي لماذا تعقّد عليّ الدين، هل منكر ونكير سيسألاني في القبر عن هذه الأربعة؟ كلا، سيسألاني فقط عن من ربك فأقول الله، ومن نبيك فأقول حبيبي سيدنا محمد، وما دينك فأقول الإسلام، وانتهى الأمر. يا مجرم!" وهذا كما ترى.

ثالثاً، التضمّن. يعني استعادة الخلافة بمعنى الحكم الاختياري وشورى الأمّة، داخل في صلب مسألة الربوبية والدين والنبوة. كيف؟ من وجوه كثيرة. منها ما تراه الآن في نفس كلام الشيخ وأضرابه، فانظر كيف أدخلوا الدين والقرءان والحديث وحتى القواعد الفقهية المسكينة أثناء جوابهم لمن يريد الثورة أو الحرية السياسية أو الخلافة الراشدة أو قل ما تشاء. لو كانت فعلاً السياسة ليست من أمر الربوبية والديانة والنبوة، حسناً، فلماذا تذكرون أنتم لصالح الطاغية من أمر ربنا وديننا ونبينا ما يساعدهم على البقاء على ما هم فيه وتفتّون في عضد المعارضة والمقاومة له وبالدين وقال الله وقال رسول الله وقال الفقيه البائس الذي قعّد القواعد الفقهية لتلخيص مسائل محددة فجئت أنت وجيّرتها لصالح الطاغية بنحو لا هو من العقل ولا من الفقه في شيء. فأنت ترى في أنصار الحكم الجبري استعمالاً للدين بأبعاده من باب كفّ الناس عن مقاومته والخروج عليه وتغييره، فإذا كان الدفاع عن الحكم الجبري بشكل أو بآخر من الدين وتابع للدين كما هو مضمون كلامهم، فإذن الدفاع عن الحكم الاختياري والعادل وهو الأصل وباعترافهم أيضاً يكون من الدين.

وجه ثاني: لاحظ أيضاً المغالطة الشنيعة بل الصبيانية التي يقوم بها الشيخ الذي من المفترض أنه يحب النبي ويهيم فيه عشقاً وكل لحظة والثانية يقول حبيبك محمد ويتكلّم ليل نهار عن الحقيقة المحمدية ثم لا يجد حرجاً في صدره من استعمال حديث سيدنا محمد بهذا الشكل المخزي. لندقق في هذا: الشيخ يقول بأن الملائكة لن تسألك في القبر {لماذا لم تستعيد الخلافة يا مجرم}، طيب، لكن يا دكتور، الملائكة أيضاً وبنفس الحديث وبنفس المنطق لن تسألك {لماذا حاولت أن تستعيد الخلافة يا مجرم}. واضح؟ إذا كان عدم ورود سؤال {لماذا لم تستعيد الخلافة} سبباً لعدم الاستعادة الخلافة واللامبالاة بذلك عملياً بل ولا نفسياً لأنه حسب تعبير الشيخ {ربنا ريحك}، طيب، فعدم ورود سؤال لمن أراد استعادة الخلافة وعدم ورود سؤال عن مقاومة الحاكم الظالم وتغيير الحكم الجبري ينبغي أيضاً أن يكون لا حرج فيه بتاتاً. وبمنطق الشيخ نقول "الملائكة لن تسألك يا طالب استعادة الخلافة: لماذا حاولت أن تستعيد الخلافة؟ لماذا أقلقت مضاجع الحاكم الظالم؟ لماذا سعيت في استعادة الحكم الاختياري للأمّة المرحومة؟" هذه ونحوها أيضاً غير واردة في الحديث، فلماذا الاعتراض على من يريد القيام بذلك إن كنت منصفاً وفعلاً تريد اتباع حديث النبي صلى الله عليه وسلم. معيارك يجب أن يكون واضحاً وسهلاً، وهو أن ما تسأل عنه الملائكة أهتمّ به، وما لا تسأل عنه الملائكة لا أهتمّ به. وبما أن الملائكة لن تسأل عن استعادة الخلافة، ولا عن عدم استعادة الخلافة، فلا أنا سأهتم باستعادة الخلافة ولا أنا سأقف بوجه مَن يريد استعادة الخلافة. هذا أقلّ حد من الإنصاف.

وجه ثالث: أن الحكم الجبري داخل في مسألة الربوبية والدين والنبوة، وكذلك الركون إلى الحاكم الظالم أيضاً داخل في الثلاثة. فهو داخل في الربوبية كما ذكرنا من قبل من أن {يتخذ بعضنا بعضا أربابا} و {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا} تتضمّن اتخاذهم مصادر للتشريع والتعبّد لهم طوعاً باتباع أمرهم، وهذا تفسير النبي أيضاً للآية وليس فقط المفهوم القرآني كما هو معروف من حديث الطائي الذي اعترض بأن النصارى لم يعبدوا الأحبار والرهبان. والحكم الجبري استعباد، والاستعباد للبشر انتقاص من العبودية لله تعالى، ولذلك سمّى النبي المملوك الذي شقّه حرّ وشقّه مملوك لشخص بأنه لابد من تحريره بالكلّية لأن الله ليس له شريك في ملكه، فاعتبار الإنسان الذي بعضه مملوك لإنسان بعضه حر لتنازل المالك الآخر له عن سهمه فيه وذلك أيام العبودية القبيحة وتملّك البشر، اعتبر النبي في رواية هذا النوع دليلاً على الشرك بالله، فاعتبر الحرية من تملك الإنسان للإنسان هو عين تملّك الله للإنسان، فلا يجوز أن يوجد شخص مملوك جزئياً لإنسان آخر، فالحرية من الخلق هي عين العبودية للحق، هذا ونحوه أيضاً يشير إلى هذا الأصل القرآني الشائع. كذلك الأمر في الظلم، فهو مضاد لأمر

الربوبية الإلهية. فالملائكة جعلت التسبيح والتقديس في قبال سفك الدماء والإفساد في الأرض، والظلم عند الله عظيم كما هو معلوم في كتاب الله لكن حِدّته أخفّ في أمزجة أصحاب ملل الروايات عادةً، ولا يقوم حكم جبري وحاكم ظالم إلا على أساس سفك دماء محرمة وبريئة كالقتل على الكلام وغير ذلك، وإلا بإفساد في الأرض بالضرورة بنوع أو بآخر من الإفساد لغاية النهب والسلب والاستئثار والمحاباة وما شاكل مما يعرفه الجميع في الماضي والحاضر. فهذه إشارات عن دخوله في أمر الربوبية.

ثم هو داخل في أمر الدين، من حيث أن ديننا قائم على الحكم الاختياري والطاعة وهي ضد الإكراه. قال الله في طاعة الرسول نفسه {أطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمّل وعليكم ما حُمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين} فلم يقل: فإن تولوا فافعل بهم وافعل من العنف والقتل والجبر والتعذيب. وفي آية أولي الأمر، أكثر آية تحرّف في التاريخ ولا زالت تُحرّف ولعلها تأتي يوم القيامة تخاصم الأمّة كلها العلماء قبل العامّة على ما فعلوه فيها، فإنها تقول {وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} فقال أولاً {منكم} والمغتصب الظالم الباغي وعصابته ليسوا من المؤمنين ولا هم منهم، ثم قال {فإن تنازعتم} فلم يأمر بقتل المتنازعين ولا بتعذيبهم بل بالرد إلى الله ورسوله، فهي آية طاعة لا آية إكراه، آية اختيار لا آية إجبار، لكن منذ قرون وإلى اليوم يتم تطبيق هذه الآية وتجييرها لصالح مَن لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم من الطاغين والباغين وأبناء الدنيا الملاعين. ثم قال الله تعالى في المؤمنين {استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون} فوضع الشورى بين الصلاة والإنفاق أي الزكاة بالتالي كما أجاز حزب أبي بكر قتال مانعي الزكاة بحجة أن الله قرن بين الصلاة والزكاة ولم يجلسوا في بيوتهم ويقولوا كما قال الشيخ هنا "منكر ونكير لن يسألاني عن: لماذا لم تحصّل الزكاة يا مجرم. بالتالي سأجلس في بيتي" والشيخ وأصحابه يرون عمل أبي بكر عين الصواب في كونه قاتل مانعي الزكاة، حسناً لنسلّم بذلك، وهذه الآية وضع الله فيها الشورى العامّة بين المؤمنين {أمرهم} أمرهم هم وليس " الأمر" ولا أمر الله ورسوله فهو {أمرهم} هم {شورى بينهم} فلم يميّز بينهم فجعلها لكل من استجاب وأقام الصلاة ومعلوم أن الاستجابة على الكل والصلاة على الكل فهكذا أيضاً الشورى للكل بل على الكل، ووضعها بين الصلاة والزكاة فهي من صلب الدين والإيمان ومنع المؤمنين من الشورى العامّة هو كمنعهم من الصلاة ومنعهم من الاستجابة لربهم ومنعهم من الإنفاق مما رزقهم.

ثم هو أمر النبوة. فهؤلاء الحكام من الظالمين والجبابرة المغتصبين، يقومون بهذا الحكم باسم النيابة عن النبي بل عن الله كما سترى في كلام الشيخ بعدها إن شاء الله. والشيوخ يبررون للحاكم الظالم منصبه هذا على أنه من أولي الأمر الذين قرنهم الله تعالى بالرسول، حاشاه من ذلك الاقتران بهؤلاء الظالمين الملعونين. فهم يقولون {أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} ويجعلون حاكمهم الظالم وممثلي الحكم الجبري كلهم في هرم السلطة كله كممثلين لأولي الأمر المذكورين هنا (كما ستجده إن شاء الله مبسوطاً أيضاً في نقد كتاب للوهابية السعودية في هذا الباب منصوصاً عليه). وهم يقولون ويقرّون بأن ولي الأمر وهو هنا حاكمهم الظالم وجبارهم القاهر، طاعته تابعة لطاعة الرسول، ويسمونه أيضاً "الإمام" كما ستراه أيضاً في كلام الدكتور هنا. بالتالي هم يصبغون عليه صبغة دينية، وكتابع للنبي والرسول في القيام بأمر "الرعية" الذين هم هنا رعية المسلمين الذين هم في أعين هؤلاء كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً على ما يبدو. بالتالي، نفس نبوة النبي وشرفه وطهارته وقداسة منصبه، تقتضي تطهير مَن يقوم مقامه في الأمّة في هذا البُعد من هذه الصفات المناقضة لصفاته. فالنبي لم يكن صاحب حكم جبري بل اختياري، فقد اختاره أهل المدينة وبايعوه في العقبة الأولى والثانية، فهاجر إليهم بعد وضع شروط وقيود من الطرفين باختيار حر تام، وأكثر أهل المدينة تابعوا ذلك طوعاً، وإن كانت الأقلية معارضة لذلك لكن الأكثرية كانت معه، فهو حكم اختياري إذن والنبي دخل المدينة بغير جيش بل هو وصاحبه فقط وغنّوا له كما يقال "طلع البدر علينا"، خلافاً لما تقوله قلوب الأمّة المقهورة كلما جاء ملك من عائلة أو عسكر "طلع الشؤم والكفر علينا". ثم النبي كان حاكماً عادلاً، وهذا مفروغ منه، لكن حين كان يعترض بعض الناس على حكمه ويواجهه بدعوى الظلم كقول الأول "اعدل يا محمد فإنك لم تعدل" أو "أن كان ابن عمّتك" وما أشبه فلم يكن النبي يمسّ شعرة من رؤوس مَن يقول ويفعل معه أفعال لو قال أو فعل عُشر معشارها الناس مع الذين يسمونهم نواب النبي وولاة الأمر المقرونين معه لذهبوا كما يقال وراء الشمس. إذن، النبي يمثّل الحكم الاختياري والعادل، فلا يمكن أن يمثّله إلا حكم اختياري وعادل. والنبي يمثّل حرية القول والدين، ودع عنك أكاذيب قتل النبي لمن قال فيه كلاماً فهذه تستطيع مراجعة كتبنا الأخرى لترى الافتراء على النبي فيها ويكفي هنا أن نشير إلى أن كتاب الله من أوله إلى آخره ليس فيه شيء من ذلك بل كل ما فيه يضادّه (كما بيّنته بالتفصيل بأكثر من ألف دليل من كتابي السلطان) وكذلك بدليل ما يعرفه الجميع من السيرة والأحاديث حيث ثبت قطعاً ويقيناً بصحيح السند وصريح المتن شتم وسخرية ومعارضة النبي في حياته وأمام وجهه ومع ذلك لم يفعل شيئاً بمن قال ذلك وأحسن الأمثلة على ذلك ما أشرت له قبل قليل وثم يوجد المثل الذي يعرفه الجميع وهو ابن سلول الذي بالرغم من كل كفرياته

وأذيته القولية للنبي في نفسه ودينه وأهله وأصحابه فإنه مات حتف أنفه وكفّنه النبي في ثوبه، فلو كانت من قواعد النبي الحكمية معاقبة من يقول أمراً ضدّه وضد حكمه ودينه وأهله وأصحابه لوجدناه يجري على سنّة واحدة في الجميع، فيُردّ المشكوك فيه إلى اليقيني المقطوع به والمتشابه إلى المُحكَم. الخلاصة: النبي يمثّل الحكم الاختياري والعادل والحر في الأديان والأقوال، فحين يتصدّر أناس لتمثيل النبي لابد من أن يمثّلوا هذا القدر من حكمه وإن كانوا لا يستطيعون بلوغ مقامه ودرجته العالية لكن الأصول ممكنة وهي واقعة الآن حتى عند غير المسلمين، فنحن نرى الآن في مشارق الأرض ومغاربها بلاد أغلبها ليسوا أصلاً من المؤمنين بالقرءان والنبي، ومع ذلك لديهم حكم اختياري وعادل وحر في الأديان والأقوال بشكل عام، مع تفاوت في الدرجات وسعي للإصلاح المستمر، لكن الأصول راسخة ومعلومة للكل ومشهودة بل وملموسة. فليس من الضرورة بلوغ الكمال المطلق، فإن عجزت ترضى بالسفالة المطلقة، يوجد حد وسط، الأصول تكون صحيحة وهي الاختيار والعدل العام وعدم الإكراه في الدين والقول، ثم بعد ذلك مهما كان من ظلم وخلل يسعى الناس للإصلاح باستمرار فالله لا يهلك القوم وهم {مُصلحون} وليس "صالحون"، فالمهم فتح قنوات الإصلاح السلمي والمنظم والمرتّب بأكبر قدر ممكن، بعد إحكام الأصول الثلاثة من الاختيار والعدل والحرية في الدين والقول. هذا حكم النبي، وحياته وتعاليمه كلها تدور في هذا الفلك، وطبعاً كذبوا عليه في تفاصيل وحوادث جزئية نادرة وشاذة يريدون أن يقيسوا عليها وهذا لا يصلح في عقل ولا عدل، فإن المعروف من أمره هو نمط عام اختياري وعادل وحر في الدين القول، فإذا جاءت رواية من هنا أو هناك فيها ما يخالف ذلك فهي الشك والنمط العام هو اليقين، ونعم، "اليقين لا يزول بالشك" كما تقول القاعدة الفقهية واستعمالها بنحو صحيح ليس على نمط صاحبنا الذي يستمع القول فيتّبع أسوأه ويقصده به أخبث المواضع.

الحاصل: حتى السؤال عن ربك ودينك ونبيك يدخل فيه ويتضمّن أمر الحكم الاختياري والعدل وعدم الإكراه في الدين والقول، للاعتبارات السابقة وغيرها كثير لكن هذا مقام الاختصار.

وجه رابع: في نفس حديث سؤال منكر نكير، توجد رواية منه فيها أن الإنسان حين يُسأل عن النبي ويشهد بنبوته ورسالته، سيُقال له {وما يدريك} أو {ما علمك} فيكون جواب المؤمن الناجي رواية أنه قرأ كتاب الله فآمن. نعم، في روايات أخرى تم طمس طريق العلم والشهادة بأنه قراءة كتاب الله، وهذا يمكن إدراجه ضمن السياق العام لإبعاد الناس عن كتاب الله في ذلك الزمان وتلك قصّة طويلة يكفينا منها هذا الموضع في مقامنا هذا. وجه الدليل هو أن قراءة كتاب الله هي وسيلة الإيمان بمحمد كنبي ورسول صادق جاء من عند الله بالبينات والهدى

التي هي في القرءان. بنفس هذا التفكير الصحيح والذي يشهد له القرءان نفسه من قبيل قول أتباع صالح "إنا بما أُرسل به مؤمنون" وقوله تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" وقوله "فذكّر بالقرءآن" وقوله "إن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله" فجعل المحور هو التنزيل بدءاً وانتهاءً، أقول بنفس هذا التفكير ينبغي الاعتماد في أمر الدين والنجاة على ما في كتاب الله، وحين يُنسَب أمر للنبي لابد من إرجاعه إلى كتاب الله لنرى صدقه من كذبه أو لنفهم تفسيره وحكمته فمن فهم القرءان فهم حديث النبي الصادق خلافاً لما يتوهم أكثر الغافلين من أنه لابد من الروايات لتفهم القرءان فجعلوا الأدنى والمختلط والمتشابه والمكدّر والناقص طريقاً للأعلى والصافي والمحكم والمطّهر والكامل والمبين المستبين، وما هذا بأول انتكاسة لأكثر هذه الأمّة وإن كانت أكبر انتكاسة وقلب للأمور والموازين. فحتى في حديث السؤال في القبر، وقعت الدلالة على قراءة كتاب الله كوسيلة للشهادة ولإثبات الدراية والعلم بصدق النبي وقبول شهادة الملائكة له. بينما في المقابل، تأمل ماذا يقول وماذا يُقال للمنافق الذي زعم أنه يؤمن بالنبي، يقول المنافق في رواية {لا أدري، قلت كما يقول الناس} أو {سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته} أو ما أشبه ذلك، فتقول الملائكة له بأنه ما درى حقاً ثم يبدأ تعذيبه. فلدينا هنا نمط قرآني ونمط تقليدي. النجاة لأصحاب النمط القرءآني، لأهل القراءة والمعرفة والبينة عبر القرءان. والهلاك لأصحاب النمط التقليدي أي تقليد الناس والتشبّه بهم بدون قراءة القرءآن والمعرفة من خلاله وبوسيلته. كذلك الحال بالضبط بالنسبة للذين دينهم وتفكيرهم مأخوذ فقط من اتباع أقوال الناس بدون الرجوع إلى كتاب الله، وملل الروايات كلها مبنية على قال وقيل من الناس والتعصّب للرجال والهوى فيهم والميل إليهم بشكل عام لذلك تجد فريقاً يقبل رجالاً ولا يقبل غيرهم، بينما أهل كتاب الله وقراءته يسمعون من الكل ويُرجعون الأمر إلى كتاب الله جملة وتفصيلاً وعلى هذا الأساس يقيّمون الروايات والمبادئ والأحكام التي فيها. وعلى ذلك، نمط تفكير الشيخ في حجته هذه بأنه طالما أن الملائكة لن تسألك في القبر إلا عن ربك ودينك ونبيك فهذا يعني اللامبالاة أو ترك ما سوى ذلك، هو تفكير غير قرآني، بل إذا نظرت في تفاصيل حجّته ستجدها نوع من التكرار لأقوال السابقين واللاحقين من الجبريين ودعاة الطاغين ومعبّدين المسلمين لهم، فهو من نمط "سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته" وليس من نمط "قرأت كتاب الله". فحتى إن أراد الشيخ مجرّد النجاة في القبر، فلن ينفعه هذا النمط الخبيث من التفكير، فليُراجِع هو وأصحابه كتاب الله فهو خير لهم وأحسن تأويلا.

ويكفي هذا من وجوه اندراج أمر السعي لاستعادة الحكم الاختياري والعادل والحر في الدين والقول للأمّة في أسئلتك عن ربك ودينك ونبيك.

نشير إلى مغالطة أخرى يرتكبها الشيخ، وهي قوله أن المَلك في القبر لن يسأله {لماذا لم تستعيد الخلافة يا يسري}. المغالطة هنا في كلمة {تستعيد} التي يُلبّس بها الشيخ على السامعين بل أحسب أنه يلبّس على نفسه. نعم، يقيناً لا في هذه المسألة ولا غيرها لن يسأل الله عبداً لماذا لم يوقع الأثر الواقعي في الوجود الخارجي، {لماذا لم تستعيد}، فنعم أنت لا تستطيع أن تضمن حتى إيصال شربة ماء إلى فمك، ولا تستطيع حتى أن تصلّي، ولا تستطيع أن ترفع حبّة خردل من الأرض. فهذا أمر مفروغ منه والحساب لن يكون على ما لا تستطيعه. بل السؤال سيكون على ما تسعى له وتستطيعه. هنا محل المغالطة. الشيخ يخلط ما بين تحقيق الأثر في الواقع وما بين السعي لتحقيق الأثر في الواقع. الإنسان مُكلّف بالسعي وليس بإحداث الأثر الخارج عن سيطرته والذي تدخل فيه عوامل كثيرة ليست في قدرته التي آتاها الله إياها. مثلاً، جاء الأمر بالهجرة إلى الله ورسوله، فهل يستطيع الإنسان أن يحقق الهجرة في الواقع الخارجي؟ قال الله {ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله}، فطالما أن النية موجودة والسعي موجود ولو بخطوة بل بخاطرة صادقة ثم وقع عليه الموت فهو في حكم المهاجر عند الله لأنه سعى لكن أصابته مصيبة الموت مثلاً وجاء أجله وهو أمر ليس في يده التحكم به. لذلك قال الله {ليس للإنسان إلا ما سعى} ولم يقل ما حقق في الخارج أو أحدث في الواقع مما وراء السعي. كذلك قال الله لموسى في أول الوحي ملخصاً أهم أمور الرسالة الجوهرية {إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتُجزى كُل نفس بما تسعى} فالجزاء بحسب ما تسعى، وليس بحسب ما تحصل عليه وتحققه فهذا خارج نطاق تكليفك. {لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها} و {إلا ما آتاها}. فنعم، أنت غير مكلّف باستعادة الخلافة بمعنى الحكم الاختياري والشوري العادل الحر في الدين والقول، الاستعادة لن تُسأل عنها، لكن يقيناً ستُسأل أنت وغيرك عن كلامكم هذا في تثبيط الناس والمؤمنين والمسلمين والمسلمات عن القيام بذلك وإعانة الظالمين على ما يقومون به وتبرير ذلك بل وتبرير فعلهم بالمعارضين لهم بحجّة أن هؤلاء سيجلبون أزمة للأمّة وتسميهم بالمجرمين وبالخارجين عن العلم بالدين والأمر الحق والعادل وما أشبه مما تقومون به، كل هذا سيسألكم الله عنه ويا لسواد الوجه يومها إن لم تتوبوا إلى الله وتصلحوا ما أفسدتم ببيان جديد غير ما قلتم من قبل. وفي الرواية عن النبي في ابن ماجة وغيره وإن ضعفوه سنداً لكنه صحيح المعنى بحسب جوهر فكرته {من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله عز وجل مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله}، فقد قال النبي أيضاً في الصحيح {هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم} فكلامك من عملك، وقولك من إعانتك، وحصائد الألسنة جنّة أو نار. فبداية السعي

لإنشاء حكم اختياري عادل حر هو بالكلمة، {أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر} فالكلمة جهاد إذن، قال الله "جاهدهم به جهاداً كبيراً" عن القرءان وهو كلام وبيان.

إذن نعم أيها الشيخ، قد لا يسألك الملك {لماذا لم تستعيد الخلافة} حسب الرواية، لكن ستُسأل يقيناً عن سبب استعمالك قول الله ورسوله والعلماء للتثبيط ولتجريم ولتجهيل من يريد استعادة الخلافة بالمعنى الذي ذكرته سابقاً للخلافة فهي على أية حال خلافة النبي وقد ذكرنا الأصل فلا داعي للدخول في الفروع.

شاهد آخر على اندراج الخلافة في أمر الله والدين والنبي: في القرءان يوجد خليفة علم وهو ءادم {إني جاعل في الأرض خليفة..وعلّم ءادم..يا آدم أنبئهم بأسمائهم}، ويوجد خليفة حكم وهو داود {يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب أليم بما نسوا يوم الحساب}. وخليفة الحكم لابد أن يكون خليفة علم، لذلك قال الله عن داود {آتينا داود وسليمان علماً}، لكن ليس بالضرورة أن يكون خليفة العلم أيضاً خليفة حكم. مسألتنا هنا متعلقة بخلافة الحكم تحديداً. الآن، انظر في آية داود. جعل الله الحكم بين الناس {بالحق} وعدم اتباع {الهوى} أمراً دينياً، متعلقاً بالهداية والضلالة {فيضلّك عن سبيل الله}، فعلّق أمر الحكم بين الناس بسبيل الله، ثم ربط سبيل الله بأمر الآخرة {إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب أليم بما نسوا يوم الحساب}. فخلافة الحكم إذن ليست من أمور الدنيا، وليست من الأمور المحايدة، وليست من الأمور المنفصلة عن أمر الله والدين والسبيل والآخرة. هذه الآية كافية للقارئ العاقل بل والجاهل المنصف قليلاً ليعرف أن الخلافة مندرجة في السؤال عن ربّك الذي هو مصدر الاستخلاف، والسؤال عن دينك الذي هو مصدر أحكامك {ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك}، والسؤال عن نبيك الذي هو مثال الخليفة {احكم بينهم بما أنزل الله}. فالخلافة أوسع دائرة من مجرّد السؤال عن الرب والدين والنبي لأنها تشمل الدوائر الثلاثة كلها، وحيث أن الحكم تابع للعلم فخليفة الحكم يشمل أيضاً بدائرته خلافة العلم. فأي أمر أوسع من هذا إذن وقد شمل الأمر كله، رباً وديناً ونبياً وعلماً وحكماً. من هنا تعلم لماذا كان اسم {خليفة} هو أوّل اسم أطلقه الله على آدم وذريته حتى قبل أن يسمّيه آدماً أو يخلقه أصلاً. {إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة}، أوّل اسم وأكمل اسم وأتمّ اسم للإنسان، والدال على أصل وظائفه كلها ومجمع كمالاته كلها. هذا أحد الفروق بين مَن كان عقله قرآنياً، ومَن شكّل ذهنه بغير القرءان.

تنبيه: يدعي الدكتور بحجّته هذه أن الأمر إن لم يدخل تحت أحد هذه الأسئلة الثلاثة، ما دينك ومن ربك ومن نبيك، فهو غير جدير بالاشتغال به. وقد رأينا كثرة الأغلاط والمغالطات في

مثل هذا التفكير. لكن وجه آخر هو أن نقول لمن يفكّر بهذه الطريقة: لماذا إذن تشتغلون بمسائل تفصيلية وفرعية كثيرة جداً لا علاقة لها بجواب "الإسلام..الله..محمد رسول الله" البسيطة؟ لماذا كل هذا الجدال مع الوهابية مثلاً في مسائل مثل التوسل والاستغاثة، لماذا كل هذا الكلام عن النور المحمدي، وكل الكلام عن التصوف ودقائقه والرسالة القشيرية وتفاصيلها؟ إن كان حتى الجاهل بكل هذه الأمور يمكن أن يجيب بـ{ربي الله، ديني الإسلام، محمد رسول الله}، فلماذا إضاعة الوقت والجهد بالاشتغال بها؟ بل ومن زاوية أخرى، لماذا تدعو الناس إلى الالتفات إلى مهنهم ولن يُسأَل إنسان عن مهنته في القبر فلا يوجد لدينا سؤال "وما مهنتك؟" أو "هل أتقنت مهنتك؟" لكن الدكتور لا يمانع من دعوة الناس وتعليمهم هذه الأمور والمجادلة عنها بل وحتى استعمال السخرية والشتم في المساجد مع الوهابية مثلاً في سبيل الرد عليهم والتنبيه على فساد عقيدتهم وسلوكهم، فلماذا تقتحم هذه الأمور إن كانت خارج الأسئلة الثلاثة التي سيطرحها عليك أساتذة القبر منكر ونكير عليهما السلام؟ الجواب الفعلي هو أن الشيخ لا يبالي بهذا الأمر حقاً، لكنه يستعمل الحجّة فقط لترسيخ ما يريد إثباته، ولا يبالي بما سوى ذلك.

هذا بالنسبة للعبث بالحديث النبوي وتحريفه وتجييره لصالح الحكم الجبري والحكام الظالمين. فهل فرغ الشيخ؟ بقي في كيسه حجّة أخرى في هذه الفقرة من كلامه، وهي مرّة أخرى الاحتجاج بقاعدة فقهية. وذلك قوله {"من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه"} ثم قال بعدها مباشرة منبهاً على أهمّية هذه القاعدة {أوعى تنسى القاعدة دي، فهمت!} أقول: أما أنا ففهمت بحمد الله لكن هل فهمت أنت ما تقوله ؟

بادئ ذي بدء، الشيخ شافعي المذهب، فتعالوا ننظر في معنى هذه القاعدة بحسب شرح شافعي كبير هو السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر، نعم أنا أعلم أن الشيخ يستعمل هذه القاعدة من باب استعمالها كحكمة أو تعبير عن مقصد عام في الشريعة وهو من باب الاستئناس في الأدلة، لا أقلّ هكذا أفسّر استعماله لها إن لم أرغب في الطعن في عقله بالكلية فأحاول حمله على أحسن محامله. لكن لا بأس، تعالوا فقط من باب البداية بشكل الحجّة قبل الدخول في جوهرها ننظر في قيمة هذه "القاعدة" في الفقه الشافعي تحديداً. وهي القاعدة الثلاثون. فبعد أن يذكر فروعها وجمع لها أربعة فقط {إذا خُللت الخمرة بطرح شيء فيها لم تطهر} وَ {إذا ذُبح الحمار ليؤخذ جلده لم يجز} وَقياسه عن بعضهم وخالف البعض الآخر {له دُبغ لم يطهر} وَذكر مسألة في المُكاتَب وهو المملوك الذي يريد الحرية بدفع مال لمالكه وصورتها ظريفة بل مضحكة {المُكاتَب إذا كانت له قدرة على الأداء فأخّره ليدوم له

النظر إلى سيدته لم يجز له ذلك لأنه منع واجباً عليه ليبقى له ما يحرم عليه إذا أدّاه}، فهذه ثلاثة صور للقاعدة المذكورة وهي في خمر وجلد حمار ومُكاتَب سرسري يفضّل النظر إلى سيدته على حريته، ذكر مثلاً رابعاً وهو الأهمّ {حرمان القاتل الإرث} وهذا لحديث النبي " القاتل لا يرث} بمعنى أن الولد مثلاً إن قتل والده لكي يرث ماله فيُحرَم من الميراث وهذا معنى "من استعجل الشيء قبل أوانه" أي استعجل الميراث قبل أن يفطس والده، "عوقب بحرمانه" فلا يرث وإن كان الأصل أن له وراثته. طيب. هذه صور القاعدة الأربعة، خمر وحمار وسرسري وقاتل، مسائل قانونية وفقهية بحتة لا يوجد فيها أي سرّ كوني أو كشف لأسرار القدر الإلهي. فهل توقف السيوطي عند هذا؟ كلا، بدأ بفصل يقول فيه {خرج عن القاعدة صور} يعني توجد صور وأحداث وأمور كثيرة، دقق في هذا، صور كثيرة يمكن أن يستعجل فيها الإنسان الشيء قبل أوانه ولا يعاقب بحرمانه. نعم، في الفقه الذي يحتج الدكتور به، وبهذه القاعدة التي يريد تجييرها زوراً لغير أهلها لا من قريب ولا من بعيد، ولا بظاهر ولا بباطن، نفس الفقه الذي أخذ من أربع صور منه قاعدة "عوقب بحرمانه" هو هو الفقه الذي فيه صور كثيرة جداً فيها استعجال الشيء قبل أوانه بدون المعاقبة بحرمانه. وينقل السيوطي منها، كم تتصوّر؟ ليس أربعة كما مثّل للقاعدة، بل ذكر تقريباً ١٧ صورة. إذن، لاحظ إنصاف الشيخ: يحتج بقاعدة مأخوذة من ٤ مسائل في الفقه، ويترك تقريباً ١٧ مسألة في نفس الفقه تنقض القاعدة. فهل هذا إنصاف، هل هذا فقه وعقل. بل أزيدك، كلا، السيوطي يزيدك. بعدما ينقل هذه الـ ١٧ صورة التي تنقض القاعدة وتخرج عنها، كتب السيوطي ما يلي: {تنبيه: إذا تأملت ما أوردناه علمتَ أن الصور الخارجة عن القاعدة أكثر من الداخلة فيها، بل في الحقيقة لم يدخل فيها غير حرمان القاتل الإرث.} ثم بيّن لماذا خرجت مسألة الخمر ومسألة المملوك الذي يريد أن يبقى عبداً لينظر إلى سيدته، ولم يذكر مسألة جلد الحمار لأنه يوجد أصلاً رأي بخلاف تلك الصورة نقله حين ذكرها. هذه الخلاصة إذن، القاعدة التي يريد الشيخ الاحتجاج بها مأخوذة من صورة واحدة في الفقه، بل لا حاجة للقاعدة أصلاً لأن أصلها هو حديث نبوي "القاتل لا يرث" وأما سبب عدم توريثه فبحث آخر. لذلك ختم السيوطي كلامه بهذه العبارة الجميلة والتي تعدّل القاعدة وتضع لها قيداً ممتازاً، لكن الشيخ طبعاً لم يستعمل هذه الصورة المنقحة للقاعدة لأنها لن تناسب ما يريد الدعوة إليه. كتب السيوطي {وكنت أسمع شيخنا قاضي القضاة علم الدين البلقيني يذكر عن والده أنه زاد في القاعدة لفظاً لا يحتاج معه إلى الاستثناء فقال "من استعجل شيئاً قبل أوانه، ولم تكن المصلحة في ثبوته، عوقب بحرمانه"}. أقول: نعم، {ولم تكن المصلحة في ثبوته}. بالتالي، إذا ثبتت المصلحة، جاز استعجال الشيء قبل أوانه بدون المعاقبة بحرمانه.

الحاصل؟ الحاصل أنه توجد لدينا على الأقلّ ٢٠ صورة فقهية تناقض قاعدة عدم الاستعجال بالصورة التي يستعملها الشيخ، وتوجد صورة واحدة فقط تتوافق من وجه مع القاعدة على فرض تفسير حديث النبي بأنه معلل بالاستعجال وليس بأمر آخر، وبناء على ذلك يريد الشيخ من المسلمين أن لا يستعجلوا استعادة الخلافة حتى لا يُعاقبوا بالحرمان ! الحرمان من ماذا، وأنت في الحرمان تعيش وتنام وتستيقظ ! هذا وجه آخر من المسألة. ما معنى {عوقب بحرمانه} وأنت أصلاً لا تعيش في الحكم الاختياري. فالشيخ قال {ربنا اللي هيعيدها يبني} أي ربنا الذي سيعيد الخلافة، إذن الأمر سيحصل. فما معنى {حرمانه} إذا كان في قدر الله إعادة الخلافة؟ هل إذا استعجل المسلمون ذلك سيتغيّر قدر الله؟ الطغيان يجعل العقول المُسَخّرة له (والمسخرة) لا تدري ما تقول.

إذن {عوقب بحرمانه} من القاعدة تتحدّث عن فعل الناس في الناس، يعني فعل الحكام. أي يجب على الحاكم أن يعاقب المستعجل كالقاتل ليرث بحرمانه من الميراث. فالحرمان قانوني وليس تكوينياً ربانياً.

لكن قد يقال: من باب الإشارة استعمل الشيخ القاعدة. يعني على الطريقة الباطنية. حسناً نحن أيضاً باطنية بإذن الله ولسنا فقط ظاهرية. فهل في الباطن إشارة صالحة فإن الباطن ليس أي معنى عاطفي أهوج، بل الباطن علم عقلي محكم مبني على معرفة الله وسننه في خلقه وفعله والتناسب بين العوالم المختلفة. فكرة الشيخ إذن بالتأويل الباطني كالتالي ونريد تصويرها بأحسن صورة: في قدر الله أن الخلافة ستعود للمسلمين في القرن العشرين للهجرة مثلاً لكن نحن اليوم في القرن الرابع عشر فبقيت ستة قرون لعودة الخلافة على هذا الفرض لتقريب الفكرة بالتالي من عمل الآن على استعادة الخلافة فسيُعاقَب بالحرمان من الخلافة لأنه سيفشل في عمله. طيب. السؤال الآن للشيخ وأنا أعرف أنه من المتصوفة ولعلّ لديه سرّاً لا نعرفه وأكلّمه بلسان القرءان: "أطّلع الغيب أم اتّخذ عند الرحمن عهداً"؟ أنت ما أدراك أن الله قدّر عودة الخلافة في المستقبل وليس الآن حتى تحكم على مَن يعمل لها بأنه مُستعجِل؟ لا يُحكَم بالاستعجال إلا لمن عرف الأوان، وهذا في نفس القاعدة الفقهية "من استعجل الشيء قبل أوانه" فالشيء له أوان، من حاول الحصول عليه قبل ذلك الأوان عوقب بحرمانه. بالتالي، حين يحكم على الحكم الاختياري العادل بأن له أواناً وهذا الأوان ليس الآن وهو ليس تكليفاً شرعياً بل إنسانياً في كل آن، فمن أين عرف ذلك؟ لا نعرف لا في القرءان ولا في حياة الإنسان حتى غير المسلم مثل هذا التأقيت لتحوّل الناس من الحكم الجبري إلى الاختياري، ومن الظلم إلى العدل، ومن الإكراه إلى الحرية. أم أن الشيخ يريد أن يقول بأن الله قدّر على

هذه الأمّة المرحومة بأن تكون هي وحدها من بين الأمم تحت أقدام المستبدين؟ فإن كان يقول ذلك فلابد أن يقول بأنها أمّة مرجومة وليست أمّة مرحومة.

مما يظهر لك نفاق القوم في هذه القضية، أنهم يقيناً في كل أمورهم حياتهم الأخرى لا يفكّرون بنفس هذا المنطق الإرجائي والتأجيلي والمستقبلي العدمي الوهمي التخرّصي الافترائي. فقط في أمر الحكم الجبري، يتحوّلون إلى هذا النمط من التفكير، نوع من المرض القلبي والعقلي بل سرطان في جسد الأمّة يجعل حتى كثير من علمائها فضلاً عن جهلائها يتحوّلون إلى مسوخ بمجرّد ما تفكّر في التحوّل من الجبرية إلى الحرية. قول على الله بغير علم، لا بأس، فها هو أمامك يدعي أن للخلافة أواناً لا ينبغي الاستعجال له، فمن أين عرف هذا الأوان؟ لا ندري وأغلب الظن ولو الاحتمال العقلي المجرّد لقلت يقيناً ولا هو ولا من شابهه في هذا يدرون. لو كانوا أهل عقل وفقه لعاملوا قضية الحكم العام مثل قضية الحكم الخاص ومثل أي قضية أخرى جوهرياً، يعني توجد لدينا صورة شرعية ينبغي على الأمّة السعي لإيجادها، فكما أنه لدينا صورة صلاة أو صورة زكاة أو صورة بر والدين يجب علينا إيجادها، كذلك توجد صورة حكم اختياري شوري عادل وحر في الدين والقول يكون للناس فيه كرامتهم الآدمية الأصلية والفطرية يجب علينا إيجادها. الأوان هو الآن. وكل آن لا تسعى فيه الأمّة لهذا الغرض، بالقلب أولاً وباللسان ثانياً وباليد ثالثاً مع سعي كل واحد لإقامة الثلاثة معاً بالتدريج المنطقي الطبيعي على أقلّ تقدير هو آن عصيان وظلم للنفس وبغي على النفس وإجرام بحق أمر الله ورسوله وكفر بنعمة الإسلام.

الإصلاح له ثلاث درجات، كل إصلاح في كل أمر أيا كان. درجة القلب وذلك بإصلاح الفكرة والتصورات وعقد النية الحسنة، وهذا المستوى هو الأول والجذر لكل ما بعده، وهو المستوى الذي يعمل بمكر الليل والنهار شيوخ الطاغين والمستبدين من حيث شعروا أم لم يشعروا عليه بوضع العقائد الفاسدة والأفكار الكاسدة والنوايا السيئة والخبيثة في قلوب أفراد الأمّة. فإذا صلح القلب بالمعرفة والإرادة الصالحة، انتقل الإنسان تلقائياً وعفوياً خصوصاً إن كان حراً طليقاً إلى التعبير عن ذلك بلسانه، وهذا بالضبط ما تراه مثلاً في الصحابة الذين أسلموا فإذا بهم يعلنون إسلامهم ويعلنون الشهادة ويقرأون القرءآن في العلن حتى على حساب صحتهم وأبدانهم بل وحياتهم، فالبقاء في الكتم والستر ليس حالة طبيعية ولا صحية ولا شرعية ولا فطرية، فمن الطبيعي تحوّل ما في القلب إلى اللسان، ولذلك يضع المستبدون هنا أيضاً عراقيل وعقبات وجنود بأسلحة حتى يخيفوا الناس من تحويل ما في قلوبهم مما لم يستطيعوا تغييره عبر إعلامهم ودجاليهم بالرغم من كل شيء، فتوضع العقوبات على الكلام كما هو معلوم وتكون إما عقوبات اجتماعية من باب الإقصاء من المحيط المباشر وإما عقوبات

قانونية وحكومية وهذه تزداد حدّتها وشراستها كلما ازداد استبداد الحكام ونهبهم وخوفهم من الأمّة التي يدوسون عليها ليل نهار. ثم إذا تكلّم الناس وحصل التلاقح الاجتماعي والتناظر والتحاور والتجادل، حينها في حال وجدت بيئة منظمة لاجراءات اتخاذ القرار الجماعي في الأمور العامّة من قبيل الانتخابات النزيهة فيمكن تنظيم كيفية تداول السلطة وتنفيذ المقترحات وتجربتها ونقدها، وإن لم توجد هذه البيئة كما هو الحال في دول الاستبداد فالمرحلة التالية الطبيعية هي خروج الناس باليد وبالعنف لردّ العنف واستعادة حقهم في ملك أنفسهم وأموالهم فإن الدولة ما هي هي تحكّم في الأموال والنفوس وكل إنسان يملك ماله ونفسه فالأصل أن لا يجوز وجود دولة إلا برضا الناس عامّة لأن هذا من تصرف الإنسان في ماله ونفسه وهو جوهر أصيل ومسؤولية راسخة لا يمكن التنازل عليها دنيا وآخرة وإن جاز تفويضها في الدنيا بشروط وقيود وأما في الآخرة فلن ينفعك تفويضك مسؤوليتك عن نفسك ومالك واختياراتك أحداً ولا حجّة "إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا" ستنفعك، ومن أجل مرحلة التغيير باليد يعمل المستبدون على تقليل عدد المنضمين لحركة التغيير باليد وكذلك على تشويه صورتهم في نفوس من لا ينضم إليهم حتى ينضموا إلى صف المستبد ضد إخوانهم ممن هم مثلهم ومعهم في الحقيقة والمصلحة والطبقة، وهذا أيضاً من تخصصات الشيوخ الدجالين في نشر تعاليم تبغيض الناس في التغيير الاجتماعي السياسي. الشيوخ والمثقفون (واحد بالروحانية والثاني بالعقلانية المادية) لديهم ثلاث وظائف حتى يرضا عنهم المستبد ويقربهم: التأثير في القلوب، منع ظهور الألسنة، تقليل وتشويه الأيدي الساعية للتغيير. عقيدة طاعة ولي الأمر وعدم جواز الخروج عليه هي بكل بساطة أفضل وسيلة لعمل هذه الأشياء الثلاثة معاً. فيسقط بهذه العقيدة الكثير من حيث قلوبهم، ثم مَن لم يقتنع بها كتم ولم يتكلّم بقناعته، فيسقط بهذا أكثر الناس، ثم تبقى قلّة قليلة تنجو من المرحلتين القلبية واللسانية، ثم يبقى مَن يرفض بقلبه ويقول بلسانه لكن يتم شلّ إرادته على العمل باليد والفعل عبر عقائد {قبل أوانه} وما أشبه فكأنهم قالوا: حسناً عجزنا عن إقناع أنفسنا وغيرنا بأن هذا ليس حكماً جبرياً وظالماً، وعجزنا عن كفّ ألسنتنا وألسنة الناس عن تسميته جبرياً وظالماً، فماذا بقي؟ بقي أن نكفّ أيدي الناس عنه. لكن يقال لَمن بلغ هذه المرحلة {يا أيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص}. من العقل إلى القول، ومن القول إلى الفعل. من فسد عقله فهو هالك. "ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون". ومن عقل ولم يقل، فهو ملعون "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون". ومن قال ولم يفعل فهو ممقوت "كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون".

فلم يبقى إذن لمؤمن ولا مؤمنة بل لكل إنسان عرف نفسه وقيمتها إلا لأن يعقل ويقول ويفعل. ومن هنا روي عن النبي وعن علي وعن بعض أئمة أهل البيت العلويين وعن علماء العقيدة الإسلامية على اختلافهم عموماً مقولة"الإيمان اعتقاد بالجَنان وقول باللسان وعمل بالأركان" على اختلاف في صياغتها، عند السنة والشيعة والإباضية على ما أحسب فهو أمر مشهور، ومن صيغها الأخرى "الإيمان قول مقول وعمل معمول وعرفان العقول" أو عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله علي عن الإيمان فقال "تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان" هذا هو الترتيب الصحيح، قلب ولسان وأركان. وعند كل واحدة منها سيقف الشياطين من الإنس والجن حتى يحولوا بينك وبينها، في كل مسألة وقضية.

هذا بالنسبة للقاعدة الفقهية، فكما ترى لا علاقة لها لا ظاهراً ولا باطناً، لا فقهاً ولا تأويلاً، بما يريده الشيخ منها، وقد ذكرها مراراً ولا وجه لها. والخلاصة: إما أن يكون الحكم الاختياري والعدل وعدم الإكراه في الدين والقول هو من الشريعة أم لا، بالأخصّ الحكم الاختياري، هل هو أمر شرعي ومثال نبوي أم لا؟ إن كان نعم، فجيب السعي لإقامته مثل السعي لإقامة أي أمر إلهي والتأسي بالنبي بل أي أمر نافع نفسي ودنيوي، فأوانه هو الآن. وإما أن يكون أمراً غير شرعي، فلا معنى لانتظاره أصلاً وتكون هذه الأمّة ملعونة لا مرحومة، ويكون دينها سبب سوء حالها فيجب الكفر به ورفضه وبالمناسبة هذا بالضبط ما صار يقول به الكثير من الأمّة لأن الشيوخ عموماً جعلوهم يعتقدون بأن قبول الاستبداد من صلب العقيدة والفقه والأخلاق الإسلامية. وذكّرني هذا بموقف ذلك الصحابي الذي أمّره النبي على سرية فأمر الصحابة بأن يلقوا أنفسهم في النار بحجّة أن النبي أمرهم أن يطيعوه فعصوه بحجّة أنهم إنما اتبعوا النبي فراراً من النار فصوّب النبي اختيارهم وحذرهم وحكم عليهم بالنار إن دخلوها، وهذا بالضبط ما ينبغي على هذه الأمّة أن تفعله وكل الأمم، إن جاءكم حكم وحاكم ونظام حكم يجعلك حياتكم جحيماً ويحرق نفوسهم وأموالهم ودينكم وكرامتكم وزعم أن هذا النظام من الدين أو الرضا به من الدين أو السكوت عنه من الدين، فالعنوه والعنوا دينه معه ففي هذا نجاتكم بإذن الله ومقدّمة النجاة الصحيحة على أقلّ تقدير.

طيب، عبث بالقرءآن، عبث بالحديث النبوي، عبث بالفقه، ماذا بقي؟ بقي العبث في التصوف. حينها تكتمل أركان تسخير كل شيء لخدمة الاستبداد. وهذا ما قام به الشيخ في هذه الفقرة من جهتين. حب النبي وَالتمسّك بالعبودية:

أما حبّ النبي، فحين يذكر في سؤال {من هذا الرجل} فيشرح الشيخ {يقوم ربنا يظهرلي النبي ساعتها عند السؤال ده ربنا يظهر النبي عشان كده يقولك "وماذا تقول في هذا الرجل؟ " أبصّ ألاقي النبي قدامي، أقوله حبيبي سيدنا محمد رسول الله، واخد بالك!} أقول: تحويل الكلام أثناء بيان هذه المسألة إلى الإشارة إلى النبي وحب النبي فيه نوع من تلطيف ووضع عسل كما يقال في خضمّ السمّ فهذه الفقرة والكلمة كلها من الشيخ ليس دسا للسم في العسل بل هو دس للعسل في السم وهي صورة عجيبة، لكن من باب المرهم والمخفف للألم وشيء من الإضاءة في وسط هذا الركام المظلم من الكلام الفارغ بل الجاهل والخبيث والمضرّ بالأمّة.

وفيه نوع من الإيهام من جهة أخرى، وهي حيلة معروفة في علم النفس، وذلك بربط شيئين ببعض حتى يستفيد أحدهما من قيمة ونوعية الآخر، والإعلام يستعمل هذه الطريقة كثيراً، كأن يذكروا خبراً سيئاً بعد ذكر خبر صورته الحياد عن شخص يريدون تشويه سمعته وصورته في أذهان الناس، أو يجلبون شخصيات ذات وجه بغيض وعنيف كلما أرادوا التكلّم في قضية ما يريدون تكريهها إلى الناس، والعكس بالعكس إذا أرادوا الترويج لأمر يقرنونه بالأمور اللطيفة والحسنة والجميلة. من أمثلة ذلك، قبل فترة شاهدت وثائقياً عن زواج المثليين في أمريكا، فجاءوا بممثّل محبوب جداً يتكلّم عن القضية، وحين تكلّم عنها أشار إلى القضية القانونية التي بلغت المحكمة العليا وقضت بقانونية هذا الزواج لكن حين حكى قصّة أصحاب القضية أشار لهم فقط من جهة "الحب" الذي كان بينهم، لكن حين تبحث ستجد أن المسألة لم تكن مجرّد حب ولا أشك أنه كان يوجد فيها حب عاطفي لأن العلاقة بينهما دامت قبل محاولة الزواج لنحو عشرين سنة، لكن الواقع المجرّد كان كالتالي: أحدهما كان ثرياً ومصاباً بمرض قاتل وهو طريح الفراش وقبل فترة قصيرة جداً بموته تزوجوا حتى يستطيع قانونياً أن يرث ثروته كزوج قانوني مثله مثل المرأة التي ترث زوجها أو الرجل الذي يرث زوجته فذهبوا إلى ولاية تجيز زواج المثليين لأن ولايتهم التي كانوا يعيشون فيها لا تجيز هذا الزواج (هذا قبل أن يصدر الحكم الفيدرالي من المحكمة العليا بتعميم تجويزه في كل الولايات من باب حق الإنسان كحرية التعبير والدين مثلاً المكفول حد أدنى منها على مستوى الولايات كلها بالدستور الفيدرالي) فلما رجعوا إلى ولايتهم وتوفي الرجل الثري رفضت الولاية الاعتراف بشرعية الزواج فرفعوا القضية للمحكمة العليا التي قضت لهم، فهذا ونحوه من فوائد ضريبية وغيرها للمتزوجين هي من الفوائد التي يرجوها المثليون حين يتزوجون، فالقضية ليست "حب" مجردة، لكن حب وفوائد مالية وقانونية، فهم يريدون أن يكونوا في الجانب المالي والقانوني أيضاً مثلهم مثل غيرهم. لكن تخيّل الآن أن يخاطبك شخص عن هذه القضية فيقول لك "كان بينهم حب بدون

زواج لعشرين سنة تقريباً، ثم تزوجوا قبل أن يموت بفترة قصيرة جداً حتى يرثه" فهذه ليست قصّة محبوكة عاطفياً ولا تهزّ المشاعر بل تبدو "أنانية" و "دنيوية" من حيث دخول عنصر المال. لكن ممثّل محبوب، وخطاب محبوك فيه لغة الحب وجعلها هي الطاغية والمقترنة بالرسالة، تجعل جمال وطهارة الحب تتصل بالموضوع وتنقّيه. للحب سلطان عجيب على القلب، وهو ماء يطهره وجمال يبسطه ونور يضيئه. نفس هذا النمط من التصرف تجده في كلام هذا الشيخ الذي وسط ركام الظلمات حشاه بشيء من الكلام عن حب النبي، سواء قام به عن قصد أو عن غير قصد، سواء نظر في وجوه الحاضرين فرآها اسودّت فقال ما قال لبسطهم، الله أعلم ولا يهمّنا، لكن المفعول واحد والنهاية هي هي. وقد رأيتها في بعض شيوخ مصر كثيراً، خصوصاً من هذا الفريق المنتمي للأزهر ولمجلس الطرق الصوفية، إدخال وسوء استغلال لغة حب النبي واتباع النبي والتمسك بالنبي لعلمهم بحب المصريين عموماً للنبي، ديدنهم خصوصاً في هذه المسألة الكبرى والسدّ الأكبر الذي يعملون على بنائه ما بين العامّة وما بين الحكومة الملكية العسكرية المجرمة. فتأمل هذا واحذره ولا ينطلي عليك، ولا تجعل العاطفة تعمي عقلك، هذا ما أقوله وأذكّر نفسي به دائماً وها أنا أذكّرك به أيضاً. محب النبي لا يعمل ما يعمله هؤلاء الشيوخ بكتاب النبي وبحديث النبي وبمثال النبي وبأمّة النبي وبنيابة النبي. هذه الزبدة ولا نريد عليها أي زيادة.

وأما بالنسبة للتمسّك بالعبودية. فالشيخ محيي الدين ابن عربي قول "العبد عبد والرب رب وكفى" أو كما قال رضي الله عنه. هذه اللغة التي تركّز على التفريق ما بين العبد والرب، وتفصل بينهما وتدعو إلى جعل العبد يركّز على شؤون عبوديته وعبادته لله تعالى حتى لا تكون فيه ربوبية، وهو أمر من أعظم مطالب أهل الله، يتم استغلاله استغلالاً سيئاً أيضاً من قبل هذا الصنف من الشيوخ، فمما يستعمله الشيخ علي جمعة مثلاً حسب ما سمعته منه مرّة هو استغلاله كلمة "لا حول ولا قوة إلا بالله" كتبرير لهذا التخاذل والرضوخ والعيش في ذل الاستبداد والرضا بالحكم بالجبري نفسياً، على نفس النمط يجري مقدّمه الشيخ يسري هنا حين يقول محذراً مَن يريد السعي لتغيير الحكم الجبري باسم استعادة الخلافة فيقول {أنت عايز تبقى رب ! تستعيد الخلافة ! دي وظائف ربوبية يا ابني وأنت عبد} وفرّع هذا القول على آية "تؤتي الملك مَن تشاء وتنزع الملك مَن تشاء" فالتولية والنزع لله تعالى فهذه حسب تسميته {وظائف ربوبية}، وأنت أيها الإنسان {عبد} و {لا تستطيع} و هذا ليس {من مسؤولياتك} لأن الذي يولّي {هو ربّك}.

على كلامه، يكون تولية حاكم ونزع أو عزل حاكم هي وظائف ربوبية لا شأن للإنسان بها.
أوّلاً، هذا كفر بواح بالله ورسوله، لأنه فيه بالضرورة قذفاً للنبي بأنه ادعى الربوبية من حيث أن النبي أيضاً كان يولّي ويعزل، بل وقبل ذلك فيه تكفير ورمي بالشرك لأهل المدينة الذي سعوا وذهبوا واختاروا وتحركوا وخططوا وعملوا حتى يغيروا نظام الحكم في المدينة ويعارضوا ابن سلول وجماعته وما أشبه مما كان من شأنهم ثم ذهبوا إلى النبي وولّوه عليهم بالبيعة مرّتين بل فيها إصرار الشرك لأنهم جاءوا مرّتين، ثم يكون النبي معاوناً لهم على هذا الشرك من حيث قبوله سعيهم وتوليتهم له عليهم وعزلهم ونزع الملك المرتقب لابن سلول. فيبدو أن الأنصار كانوا لا يفهمون الفرق بين وظائف الربوبية ووظائف العبودية، بل ولا النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، وفهمها عبيد العسكر في مصر هذا العصر التي بعدما كانت رأساً صارت قدماً على أيدي العسكر المتخلفين والمجرمين.

فكل العمل السياسي بالتولية والعزل يكون من القيام بوظائف الربوبية، حسناً، فتولية طاغية مصر الحالي كان أيضاً قائماً على باطل (والقاعدة الفقهية تقول "ما قام على باطل فهو باطل" وهي قاعدة قوية بالمناسبة، أها، أعجبتني لعبة استعمال القواعد الفقهية هذه، لكن كما ترون هو استعمال معقول)، لأن العسكري الحالي إنما جاء بتولية الرئيس له، ثم هذا العسكري الخائن انقلب وعزل الرئيس المختار من الناس قانونياً وتولّى هو مكانه، فهو شرك وقام بشرك وتأسس على شرك، بل وهو يمارس الشرك ومنازعة الربوبية وظائفها الآن بعزل كل مَن لا ينتمي له وتولية اللواءات الفاسدين ليأكلوا ويتحكموا بمصر وأهلها كما يشتهون. لماذا لا تذهبون إلى هذا اللعين وزمرته من أمثال ثمود وتقولون لهم "الذي يولّي ويعزل هو ربنا يا ريّس، دي وظائف ربوبية يا بابا وأنت عبد"، طبعاً لن يجرؤا على مخاطبته بغير ريّس وبابا بدلاً من {يا مجرم} و {يا ابني} التي هي من قسط المسلمين المستضعفين والمساكين فقط.

قد مضى كلامنا عن لعبه بالعقيدة الجبرية فلا نعيده. لكن هنا نريد التنبيه على استغلال ميل المتصوفة إلى البقاء في حيّز العبودية، وتطهير النفس من نوازع الربوبية، لكن بأقبح صورة كما ترى.

المشكلة حتى على مستوى التصوف، كلامه باطل. لأن الإنسان عبد بذاته خليفة بربّه، ومن حيث هو خليفة فهو يظهر بصفات الله تعالى ويتخلّق بأخلاقه وأسمائه. ومن هذا الباب قول الله عن النبي بلسان الفقر {ووجدك عائلاً} لكن بلسان الخلافة قال {سيؤتينا الله من فضله ورسوله}، وهكذا هذا في القرآن كثير، كقوله للناس {وأنتم لا تعلمون} فهذا بلسان العبودية لكن قال بعدها {يعلمكم الله} و {علم الإنسان} و {أولوا العلم} فجرّدهم من العلم من حيث عبوديتهم وألبسهم العلم من حيث خلافتهم فهم {ربانيون} وليسوا أرباباً، لأن هذه الصفات

ليست ذاتية لهم بل هي إفاضة ربهم عليهم. وبهذا المعنى، يقوم الإنسان بـ{وظائف الربوبية} أيضاً، لكن بالله وليس باستقلال عن الله. ولذلك قال {فأنتم لها مالكون} فنسب الملكية للناس، وقال {ارزقهم} فنسب فعل الرزق للناس، وقال {أخلق لكم} فنسب الخلق لهم {تخلقون إفكاً}، وقال {فمن أحياها} فنسب الإحياء لهم، وقال {أنا أحيي وأميت} وقال {لا تقتلوا} فنسب إنهاء الحياة لهم، فكل ما نسبه الله تعالى لنفسه إلا الألوهية الخالصة فقد نسبه للإنسان، وكل أسماء الله لها مظاهر في الإنسان. قال نوح عن الله "أنت خير المنزلين" وقال يوسف عن نفسه "أنا خير المنزلين". قال الله عن نفسه بأنه رؤوف رحيم، وقال عن النبي "رؤوف رحيم". وعلى هذا النمط، هذا التمييز الحدّي المطلق ما بين الرب والعبد ليس قرآنياً، ولا واقعياً، ولا عرفانياً صوفياً. فعلى ذلك، نعم الإنسان أيضاً بالله يؤتي الملك وينزع الملك ،ويذل ويعزّ "فلله العزة" " أذلة على المؤمنين"، "آتوهم من مال الله الذي آتاكم". لكن الذين كفروا يرون حدّية مطلقة بين مشيئة الله وفعله ومشيئة الإنسان وفعله كما في قولهم "أنطعم مَن لو يشاء الله أطعمه". فالشيخ في هذه العبارة التي توهم بأنها تمتح من التصوف، إنما يمتح لفظاً من التصوف ومعنى من الجهل والشرك والكفر بالله وبالإنسان معاً كخليفة الله. ومن الشرك أنه يجعل العبد قائماً بغير الله وأن له صفات مستقلة عن أسماء الله وأن أفعاله ليست تجليات لفعل الله أو قابلة لأن تكون كذلك على أقلّ تقدير. فإن قال: بل الإنسان يظهر بصفات الله ويفعل بالله. قلنا: حسناً، إذن الإنسان أيضاً بالله يؤتي الملك وينزع الملك ويرزق ويحيي ويميت ويخلق ويُعلّم ويقول ويفعل ويريد ويشاء وهذه كلها لله بالأصالة وللإنسان بالإفاضة وكلها منسوبة له في القرءان ومشهودة في العيان ومقررة عند أهل التصوف والعرفان. بل الشيخ نفسه يقوم بوظيفة من وظائف "الربوبية" حين يعلّم القرءآن والله يقول "الرحمن علّم القرءان"، فكما أنه يستطيع بالله أن يولّي فكرة في القلب ويعزل فكرة، ويولّي كلمة فيظهرها ويعزل أخرى، ويعزّ عقيدة بنصرتها ويذلّ أخرى بالرد عليها، فكذلك الحال تماماً في كل الأمور ومنها الخلافة العامّة التي هي نظام الحكم في الأمّة في شقّه السياسي والاجتماعي، فهما سيّان عند أهل القرءان والعيان والعرفان.

لطيفة: حين فرغت من هذا المقطع، وتركت الكتاب ليومين تقريباً من شدّة كراهة هذه المغالطات الشنيعة من مثل هذا الشيخ الذي من المفترض أن يكون أرقى من ذلك بكثير، لكن هي الفتنة الكبرى لهؤلاء الناس الذين تستقيم عقولهم في أي شيء إلا مسألة الحكومة. بالأمس استمعت "صدفة" (بل بتوفيق الله) إلى تسجيل آخر للدكتور خرج لي بدون بحث، وذلك في أوّل مايو من هذه السنة ٢٠٢٣م، سُئل فيه عن سبب ابتلاء النساء في حياتهن، فأجاب بكلام طويل فيه قوله

بأن الفشل شيء يجب التعلّم منه، وأنه كطبيب جراح يستفيد من الحالات الخاطئة ويتعلّم منها ويطور نفسه وما أشبه هذا من كلام الاستفادة من التجارب واعتبار الألم أمراً نافعاً. فتذكّرت ما كتبته من قبل عن قوله في فشل الثورة المصرية وبدلاً من الاستفادة منها والبناء عليها، تركوا أمر الحكم الاختياري والعادل بالكلية وانتكسوا إلى الرضا بالحكم الجبري والظالم. وقلت في نفسي: لو طبّق هذا الكلام على موضوع الفشل المبدئي في تأسيس حكم اختياري عادل ل لأغنى نفسه وغيره عن الدخول في ما دخل فيه. كما قلت مراراً، هؤلاء يستقيمون في أي شيء ويفكّرون بعقلانية في كل شيء، إلا في مسألة الحكومة، فكأجهل كما ترى وشرّ ما تسمع. لذلك، تحرير الأمّة من الحكم الجبري والظالم هو أيضاً تحرير لعلماء المسلمين كلهم فضلاً عن عامّتهم من هذه الفتنة الكبرى التي تشوّه القلوب وتمسخ العقول وتفسد الدين وتبطل الاستقامة. حتى أهل التصدّر للتعليم والفتوى من المسلمين والمسلمات، وإن تكلّموا ضدّ مصلحتهم الدنيوية ومنفعتهم الدينية في هذه المسألة، فلابد من الإعراض عنهم كما تُعرض عن المجنون حتى يفيق والصبي حتى يبلغ الحلم والنائم حتى يستقيظ، وإن كان هؤلاء الثلاثة لهم عذرهم، بينما أولئك فعلوا ذلك بأنفسهم، لكن من باب الرحمة واللطف من الأسلم اعتبارهم كذلك مبدئياً إلى أن ينتهي الأمر وتقع واقعة الحرية وحينها سيكون لهم شأن آخر إن شاء الله بل سيكون لنا جميعاً شأن آخر أفضل وأجمل بإذن الله ورحمته، وما ذلك على الله بعزيز.

...

٥-{خد بالك إن الحاكم ده هو ظل الله في الأرض ، واللى يتعدي على ظل الله في الأرض ربنا يقسمه، حتى لو ظالم! حتى لو ظالم، ربنا ابتلانا بظلمنا بظالم، ربنا ولى علينا من ظلمنا ظالم، فعليك انك انت تصبر بقى،

ارفع الظلم الأول في دائرتك ربنا يرفع الظلم عنك، كل واحد في دائرته يرفع الظلم، انت ظالم مراتك ظالم ولادك مبتنفقش عليهم، ظالم شغلك مبتتقنوش، ظالم جارك بتغلس عليه، ظالم شريكك في العمل وفي الشركة، مبتقولوش الارباح بصورة واضحة وبتخمه، وفي الآخر تقولي عايز يتولى عليك عمر بن الخطاب! هيهات، ده انت نوري يتولى عليك نوري زيك، فهمت بقي المسألة!

"كيفما تكونوا يولى عليكم" شفت بقى الحكاية، انت عايز تغير الظالم غير ظلمك. ربك هيشلهولك، انما طول ما احنا ظالمين يا جماعة،ده انت في ارثك مع إخواتك ظلمتهم، فما بالك لما تبقي انت الحاكم بقي، هتظلم كل الناس. اذا كنت انت دائرة اسرتك اللى هي رحمك اللى

هي دمك ظلمتهم. فما بالك بقي ناس دائرة اوسع لا هما دمك ولا رحمك هتاكلهم يعم، وتتعشي باللى خلفوهم. فهمت بقي ازاى! علشان كده دينا منظم هادي كل واحد عليه دائرته انت مسؤول عن دائرتك فقط، اللى ربنا اقامك فيها، متوسعهاش الا لو ربنا وسعهالك.}

أقول:
الفقرات السابقة بالغة السوء، لكن هذه الفقرة بالغة الكفر والظلم معاً، بحيث تجعل الفقرات السابقة تبدو وكأنها فتوحات مكّية وحكمة إشراق لدنية. وعبيد بني أمية أنفسهم ما كانوا ليأتوا بأفضل منها، مع كل جبريتهم وكذبهم ودجلهم على المسلمين. فهنيئاً للشيخ هبوطه من مستواه الراقي بإرادته إلى هذا الحضيض، وتناسيه كل ما يعرفه في سبيل إرضاء طاغيته شعر أم لم يشعر. فتعالوا ننظر بهدوء ونحاول الانتفاع بإذن الله من هذا البيان، فحتى الحديد الخبيث يمكن أن يتحوّل إلى ذهب خالص، مع نار النقد وصبر العقل وأهمّ عنصر وهو التوفيق الإلهي.

توجد في هذه الفقرة أكثر من فكرة، كل فكرة كفرة لها شرّ، لكن في باطن كل شرّ يوجد سرّ:
أ-منصب الحاكم. ب-مصدر الحكم. ج-طريق تغيير الحكم. د-علاقة الفرد بالحكم العام.

أ-منصب الحاكم.
هنا يبلغ الدكتور المصري أعلى ما سمعته منه إلى الآن من الكفر، لكنه كفر عريق وقديم في نفوس العبيد، ولا أريد إهانة تاريخ شعب، لكن أرى في كلمة الشيخ هذه نوع من الحنين للفرعنة وتأليه الفرعون لكن بطريقة متأسلمة لفظاً. وذلك حين يقول، مبيّنا عن خطورة ترك الجاهل يسترسل في كلامه بدون وضعه عند حدّه والحد اللازم من البدء وهذه مسؤولية مَن يستمعون له ويسكتون عليه، فقال {خد بالك} نعم، نأخذ بالنا إلى أين؟ {إن الحاكم ده هو} دقق جيداً، هذا الحاكم الذي سيتكلّم عليه هو الحاكم الذي هو نفسه أقرّ قبل قليل أنه حاكم ظالم، من باب التذكير فقط، لندعه يكمل في وصف الحاكم الظالم الذي يظلم ليس فقط أي إنسان كلا، بل يظلم أمّة نبينا محمد والمسلمين لله والموحدين له بالتوحيد الخالص في الأرض، هذا الحاكم الظالم عند هذا الشيخ المسرف بل السفيه الذي ينبغي الحجر عليه في حكم شريعة الباطن، هذا الحاكم {هو ظلّ الله في الأرض}.
لا داعي للتذكير بأن الله ليس له ظلّ. أيها الشيخ اتق الله، أنت نفسك تعلم وتُعلّم الناس أن نبينا محمد وهو عبد الله ليس له ظل. الظل لا يكون إلا لشيء يوجد فوقه مَن هو أعلى منه، كالشمس بالنسبة للأشياء الأرضية، لكن الله ليس له ظلّ لأنه لا يوجد شيء فوق الله، "أنت

الظاهر فليس فوقك شيء". هذا تنبيه سريع فقط من باب الإيمان، بل من باب الأدب. {ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل..ثم جعلنا الشمس عليه دليلا}.

لكن قد يقول لي أحدهم: في حديث "سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله"، أقول: هذا مردود بحديث آخر ذكر أن الظل هو ظل العرش "سبعة يظلهم الله في ظل عرشه"، ونعم للعرش ظل لأنه يوجد ما هو أعلى من العرش. هذا على فرض أننا نريد أخذ مثل هذه الروايات.

فإن قال: الشيخ أخذ فكرة ظل الله من الحديث الصحيح الذي يذكر "يظلهم الله في ظله"، ولم يخصص هذه الرواية بالأخرى، فما مشكلتك؟ مشكلتي أن الشيخ لو كان فعلاً قد أخذ بهذه الرواية فالواجب عليه أن لا يؤمن ببعضها ويكفر ببعضها، فليكمل الرواية. "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل". نعم، أولهم هو "الإمام العادل"، على فرض أن الإمام هنا هو الحاكم من حيث ذكر العدل وكونه مربوطاً بالحكم بين الناس لقول الله {وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل}، حسناً، لنقل أن الشيخ أخذ هذه الرواية، فهذه الرواية تخصص الدخول في ظل الله للإمام العادل، للحاكم العادل، وليس الحاكم الظالم وصاحب الحكم الجبري الذي جاءت روايات أخرى تذكر أنه يوجد أماكن مخصصة في جهنم للجبابرة والظالمين. هذا أمر. وأمر آخر، هذه الرواية لم تقل بأن الإمام العادل ظل الله، بل قالت أن لله ظلّ يوم القيامة وسيكون فيه الإمام العادل. أمر ثالث، الإمام العادل لن يكون وحده في ظل الله، بل معه ستّة غيره، فإن زعم مدافع أن الشيخ أراد هذه الرواية غير القرآنية اللفظ، فعليه أن يضع هذه المناصب والأمور التي ربطها بالحاكم أيضاً بالستة الآخرين، فعليه أن يقول مثلاً أن الشاب الذي نشأ في عبادة الله ظل الله في الأرض فحتى إن ظلمك فعليك أن تصبر، وهكذا في كل أمر بحيث تصبح الأمّة فوضى كل واحد لديه واحدة من هذه الخصائص عليه أن يفعل بالأمّة ما يشاء من المظالم وما عليها إلا الصبر. وسخف هذا ظاهر. أهمّ أمر هو أن الرواية مخصصة بعرش الله، والرواية تخص بالذكر الإمام العادل فيخرج منها الإمام الظالم. بينما كلام الشيخ بالنصّ والمعنى يتعلق بالحاكم الظالم. بل هو نفسه يعترف بعدها ويصرّ ويشدد، {حتى لو ظالم، حتى لو ظالم، ربنا ابتلانا بظلمنا بظالم، ربنا ولّى علينا من ظلمنا ظالم}، لاحظ التأكيد والتشديد، ومن ينظر في وجهه وهو يقول هذه العبارات يبدو له وكأنه يريد إقناع نفسه بهذا الكفر الذي ينطق به وسفاهة العبيد المجانين التي يبرر بها ما هو فيه من من نقمة ومهانة.

القول بأن {الحاكم} هكذا مجرداً هو {ظل الله في الأرض}، هو قول لا يمكن أن ينطق به شخص عقل القرءان أو عقل أمر النبوة، أو حتى عرف الله وعرف نفسه ونطق من هذه المعرفة. هذه مقالة العبيد الملاعين مطلقاً، لا يمكن أن تصدر عن غيرهم. تصدر ممن يتقي الناس أكثر

ممن يتقي الله، ويخاف من الحاكم أكثر مما يخاف من الله، ويرعى حرمة الحاكم الظالم الذي لا حُرمة له ودمه هدر بل من أحسن القرابين لتحصيل رضا الله ورسوله ورضا المؤمنين {فقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين} أكثر مما يرعى حرمة الله ورسوله والخلق أجمعين.

تأليه الحكام أمر قديم في كفار البشر، لكن بسبب عصمة الإسلام تم تحريف العقيدة قليلاً في اللفظ وإن كانت ذات نفس النتيجة في الشعور والعمل، لكن الإصرار على الكفر والعصيان لا حيلة فيه، فصارت عقيدة {أنا ربكم الأعلى} و {ما علمت لكم من إله غيري}، في صورة متأسلمة لفظاً وهي "الحاكم هو ظل الله في الأرض".

والنتيجة العملية لهذه العقيدة هي ما ذكره في الجملة التالية {واللي يتعدّى على ظل الله في الأرض ربنا يقسمه}. في القديم كما في الحديث، هذا هو المطلوب من هذه العقيدة. {حتى لو ظالم ! حتى لو ظالم !}. الفكرة كلها هي كيف تجعل الناس يستسلمون وجدانياً حتى لا ثوروا على الحاكم الظالم ويأخذوا حقهم منه ويعيشوا كراماً. فيبدأون بجعلك تؤمن بالله، بصورة ما طبعاً، ثم بعد ذلك حين يرسخ إيمانك بالله ينتقلون إلى مرحلة أخرى أو بعد أكثر من مرحلة ينتقلون إلى مرحلة تعبيد الناس لحكام زمانهم، وهو المطلوب. فالله والدين والرسول وعقيدة الآخرة والجزاء وكل ذلك مجرّد وسائل لتعبيد العامّة للحكام الظالمين عند أمثال هؤلاء الملاعين.

أيها الجاهل، كيف تتجرأ أن تنسب هذا الظالم إلى الله أصلاً، بأي نسبة، فضلاً عن أن تنسبه إليه كـ{ظل} له والعياذ بالله، وأنت تقرأ في القرءان، والذي ختمته تفسيراً في نحو ألف مجلس، أم تقرأ في القرءان {لا ينال عهدي الظالمين} وهذا قول ردّ به الله على إبراهيم خليله حين سأله في جعل الإمامة في ذريته، فإذا كان الله يفعل هذا مع خليله، ولا يجعل حتى عهده، عهده أيها التائه؟ ألف مجلس مع القرءآن ولم تتعلّم أن لا تنسب الظالم إلى الله ولا تنسب الظلم إلى الله تعالى؟ صدق ابن عبّاس، "رُبّ قارئ للقرءان والقرءان يلعنه".

بأي حق تنسب الحاكم الظالم إلى الله؟ إن قلت: لأن الله ذاته في كل شيء وكل فعل. نقول: حسنا، فانسب إلى الله أيضاً الثائر على الحاكم الظالم، فذات الله وفعله أيضاً في هذا الثائر كما هي في ذلك الظالم.

وإن قلت: لأن الله أمره بالظلم. كفرت وكذّبت القرءان، فالله تعالى {لا يأمر بالفحشاء} فضلاً عن الظلم. {وما أنا بظلّام للعبيد}.

وإن قلت: لأننا وجدنا ولاية الظالم علينا فدلّ ذلك على أن الله ولاه علينا. فهذا احتجاج من الأثر على المؤثر، يعني أنت ترى ما يحدث في المجتمع فتنسبه إلى الله، حسناً، فانسب أيضاً

الثورة على الظالم ولعنك ونهب دارك يوماً ما أيضاً إلى الله لأن الله هو الذي فعل هذه الأفاعيل بزعمك. وانسب قول أبو لهب، سلفكم الطالح، لنبينا محمد "تبّا لك" أيضاً انسبه إلى الله، فالله هو الذي شتم النبي وقال له "تباً لك"، ألا تبّاً لكم ولمن علّمكم الدين وأورثكم هذا الجهل وعدم الأدب مع الله ورسوله والمؤمنين، وبئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين.."إن".

{إن الله يأمر بالعدل} فهذا أمره التشريعي. {إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل} وبعدها قال {وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} فهؤلاء حكام العدل. الحكام الظالم والحكم الجبري لا علاقة له بالله تعالى ورسوله لا من قريب ولا من بعيد. هذا إنسان أساء استغلال حرية المشيئة التي وضعها الله فيه، وهي مشيئة حرة لأنها من مشيئة الله كما أن العلم في الإنسان من علم الله والقدرة في الإنسان من قدرة الله، فكذلك المشيئة في الإنسان من مشيئة الله، فهو مستخلف في المشيئة كما هو في العلم والقدرة والمال وكل أمر آخر، ولذلك يستطيع الاختيار ما بين الأَضداد {مَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر} كما أن الله تعالى وبنحو متعالي وأعلى يقدر على الاختيار ما بين الأضداد وكل الممكنات.

الدين جاء بالأحكام التشريعية. أما هذا الشيخ الجاهل، فيريد أن يستعمل مع الحاكم، ومع الحاكم فقط، منطق الأحكام التكوينية وحتى هذه بحسب تصوره الفاسد. يريد أن يقول بأن كل ما يحدث في الكون فهو من حكم الله وفعله، وبما أن الحاكم الظالم موجود فهو من فعل الله. لكن هذا المنطق إن صلح فلابد أن يصلح على كل ما يحدث في الكون مطلقاً، فالحاكم الظالم ومَن يقطع رأس الحاكم الظالم جبراً (آمين!) كلاهما من حكم الله التكويني وفعله المطلق في الكون. لكن هذا الشيخ يريد أن يعامل الناس بمنطق القرءان والحكم الاختياري والمشيئة الحرة فيأمرهم بالصبر وينهاهم عن الخروج والثورة، لكنه يعامل الحاكم الظالم خصوصاً بمنطق الشيطان والحكم الجبري والمشيئة الإلهية الفعالة في الكون. وإذا دققنا سنجد أن أمثال هؤلاء الشيوخ إذا تكلّموا مع الشيوخ خارج دولتهم، فقد تجد منهم " نصيحة" لهم بهذا الأمر أو ذاك، لكن إذا جاءت النوبة لطاغية ناحيتهم وكلب قبيلتهم فالأمر بخلاف ذلك إما صمت المقابر وإما تبرير الكافر وأحياناً شيء من النصح السخيف الخفيف وحتى هذا من أندر النادر ولا يغيّر شيئاً في الآخر.

هذه خلاصة موقف أكثر هؤلاء الشيوخ: الحكومة تُعامَل بمقتضيات العقيدة الجبرية، والعامّة تُعامَل بلوازم العقيدة الاختيارية. واقرأ عليهم {ويل للمطففين} لعلهم يستيقظون، وذكّرهم بأن {ويل} وادٍ في جهنّم لعلهم يرجعون، ولا تيأس فقولنا هذا {معذرة إلى ربهم ولعلهم يتقون}.

العدل من أسماء الله. فلا يُنسب الظلم إلى الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم " والشرّ ليس إليك". لكن هذا الجاهل لم يحترم حتى كلام "حبيبه" سيدنا محمد، فبدأ بجعل الحاكم ظل الله ثم تمادى في غيّه فجعل الظالم أيضاً ظل الله. كل هذا من أجل عسكري ينطبق عليه المثل المصري القديم "ابن الحرام يا قوّاس يا مكّاس" يعني إن أردت أن ترى ابن الحرام فانظر فستجده صاحب قوس أي شرطي وعسكري وجندي، أو مكّاس يعني جامع المكس جبراً والمكس الضرائب المالية، باختصار إذا أردت أن ترى ابن الحرام بيسر وبدون كثرة تفتيش فابحث في عمّال الدولة الجبرية فستجدهم إما يخدمون فيها عسكرياً وإما إدارياً. هذه المقولة وإن كان فيها نوع من الشطط، لكن فكرتها الأصلية صحيحة،. وإن انطبقت على أحد بالخصوص فتنطبق على "ابن الحرام" الأكبر الذي هو رئيسهم الذي يسمّيه هذا الجاهل {ظل الله في الأرض}.

قال النبي "إن الله جميل يحب الجمال"، "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً"، ونحو ذلك من تعاليم تبيّن أنه لا يجوز نسبة ما يضاد أسماء الله له، أو أن الله يحبّها، أو أن الله يقبلها، أو أنه يفعلها. حتى جهنّم والعذاب الأليم هو من عدل الله، {هل تجزون إلا ما كنتم تعملون} {جزاء سيئة مثلها}. أن تقول عن الشيء بأنه ظلم ثم تنسبه إلى الله، فهذا دليل كفرك وليس فقط جهلك، وجرأتك على ربك لا فقط ظلمك لنفسك والناس من حولك والمساكين الذين يأخذون عنك الدين ولو اشتغلوا بالملاهي لكان أفضل لدينهم من الاشتغال معك بمثل هذا.

لاحظ أنه في الفقرة السابقة قال بأن مسألة الخلافة لا ينبغي الاهتمام بالسعي لها لأنها ليست من مسائل القبر الثلاثة عن الرب والدين والنبي، لكن هنا قال {الحاكم..هو ظل الله في الأرض} فهذا كما ترى أمر يتعلّق بالربوبية وداخل في سؤال "مَن ربّك" وداخل أيضاً ضمناً في سؤال "من نبيك" على اعتبار أن الحاكم امتداد للنبي فالنبي أيضاً لابد أن يكون ظل الله في الأرض إلا إن كان الشيخ يرى أن الحاكم أفضل من النبي في هذا الباب، ولا تستبعد هذا الاحتمال فقد كان كلاب بني أمية من المشايخ أيضاً يقولون في فترة ما بأن الطاغية الأموي الذي يسمونه خليفة أفضل من الرسول ويحتجّون لذلك ويضربون له الأمثال، فإن كان الشيخ يتبع هؤلاء في فيدخل أمر الحاكم في سؤال نبيك من باب أولى، بالتالي باعتقاده أن الحاكم ظل الله في الأرض يكون قد جعله فرعاً للاعتقاد بالألوهية، وهنا لابد أن يكون جواب الشيخ عن سؤال منكر ونكير "مَن ربّك"؟ لابد أن يكون جوابه هكذا "قبل أن أجيبك، ماذا تقصد يا منكر ويا نكير بربّك؟ هل تقصد ربي الأصلي أم ربّي الظِلّي؟" حينها إما أن منكر سينظر في وجه نكير ويستغربا من هذا المجنون، وإما أن يضربوه بالمرزبّة ضربة يسمعها كل الخلق ما عدا الثقلين. وكذلك إن اعتقد بأن الحكام أفضل من النبي يكون قد أوجب نقصاً في الرواية لأنه

لابد أن يسأل منكر ونكير أيضاً عن "مَن حاكمك؟" فسترى بعد ذلك أن شيوخ الظلم هؤلاء يجعلون الحاكم والحاكم الظالم أيضاً فرقاناً بين حياة الإسلام وحياة الجاهلية، وإن اعتقد بأن النبي أفضل من الحاكم والحاكم مجرد امتداد للنبي فيكون سؤال "مَن نبيّك" يتضمّن السؤال عن الحاكم أو لا أقلّ هو داخل فيه وبينهما صلة. ثم الشيخ بنى على الاعتقاد التأليهي الظِلّي للحاكم أمراً عملياً وهو قوله أن الذي {يتعدّى على ظِلّ الله في الأرض ربنا يقسمه} فهذا أمر عملي داخل في الدين، بالتالي سؤال "ما دينك" يشمل هذا المعنى أيضاً، وإن كان {ربنا يقسمه} كما يزعم هذا الكاذب فلابد أن تكون مسألة من مهمات الدين وكبارها.

وهنا نصل إلى نقطة أخرى، تُبرز لك كيف أن قوّة الإسلام وروح القرءان تمنع حتى جهلة هذه الأمّة من التمادي في الظلم المرّ الصريح بدون مزجه بشيء من الحق وإن كان مزجاً خاطئاً وسرقة آثمة لأقوال الله ورسوله بأخذها بغير حقها ووضعها في غير محلّها. وهي نقطة مصدر الحكم.

ب-مصدر الحكم.

من آثار الروح القرآني في قلوب المسلمين، ولو كانوا جهلة وضلالاً، هو أن ينطقوا بشيء من الحق حتى وهم يقولون الباطل وينظّرون له عناداً واستكباراً. فهذا من القهر القرآني للقلوب المدعية الإيمان به، شعرت أم لم تشعر. فالحمد لله.

مثال ممتاز على ذلك هو ما قاله الشيخ يسري هنا. فما هو مصدر الحكم في الأمّة؟ الجواب الحق هو أن الأمّة هي مصدر الحكم. فالحكم يتعلق بنفوس وأموال وأديان وأقوال الناس، وكل إنسان يملك نفسه وما يتبعه، ولا إنسان يملك من أي إنسان آخر شيئاً بالأصل، وكل إنسان جاء إلى هذه الدنيا طفل مفلس ضعيف عاجز فلا حق أصلي له في أي إنسان بل ولا في أي شيء بالأصل، وسيخرج منها كذلك. فالنفوس سواسية من هذا الوجه. وهذا هو الأصل العقلي للمعنى القرآني {وأمرهم شورى بينهم} لأنهم أمرهم كلهم على السواء فلا يمكن إلا أن يكون شورى بحسب الحق بينهم وإلا كان استبداداً وعدواناً وبغياً من بعضهم على بعض. قرءآن أو لا قرءان، هذا هو الحق. فإذا جاء القرءآن، كان ذلك هو الأحق مطلقاً.

وتستطيع أن ترى اعترافاً ضمنياً بذلك حتى من قبل شيوخ الظالمين هؤلاء. تأمل هذا الاعتراف. يقول الشيخ {ربنا ابتلانا بظلمنا بظالم، ربنا ولى علينا من ظلمنا ظالم}.

هذه العبارة يريد فيها إثبات العدل الإلهي بزعمه في واقع الأمّة البائس هذا. يريد أن يجعل ما يحدث في الدنيا من الناس من بغيهم على بعضهم بعضاً، على أنه من فعل الله

وقضاؤه مثل القضاء يوم الحساب. وهذا ليس فقط من الكفر بالله، بل من الكفر باليوم الآخر واستعجال أمر الآخرة في الدنيا، إن شئت هو نوع من عبادة العجل {أعجلتم أمر ربكم}. أمر الله وحكمه وملكه الذي يقال فيه ملكه بتمام المعنى هو ما يحدث في الحساب في الآخرة {يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله} {لمن الملك اليوم لله الواحد القهار} {توفى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم} {هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم} والآيات الكثيرة في بيان أمر الآخرة وامتيازه عن أمر الدنيا. في الدنيا قال الله {ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد} وآيات كثيرة في هذا المعنى وهو عدم اعتقاد أن ما يمدّ الله به الظالمين ويملي لهم في الدنيا أنه من حكمه وإرادته الخير بهم بل إنما يؤجلهم إلى {يوم تشخص فيه الأبصار}، {وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين}. باختصار، كلام الشيخ هذا يدلّ على جهله العميق بل يشير إلى نوع كفر باليوم الآخر واستعجال له في الدنيا، وفيه لمن يلتزم به حقاً إبطال للشريعة وللطريقة ورمي الله بأنواع المظالم والعياذ بالله، لأن الذي يعتقد حقاً أن الله في الدنيا يحكم على العباد بالعدل فقد كفر جزماً بل وصيّر للإلحاد أعظم حجّة ولذلك اعتبر القرءآن إنكار الآخرة كفراً بالله، لأنه بكل بساطة لا يمكن تفسير ظهور العدل على الناس في الدنيا، ومثال بسيط جداً هو لو افترضنا أن شخصاً مجرماً قتل في السر واغتصب وسرق ولم يُقبَض عليه وعاش سنين طويلة في جرائمه هذه وتمتعه بدنياه ثم انتحر أو مات ميتة طبيعية فهذا في معيار الدنيا قد نجا من عدل الله وكل أولئك الذين ظلمهم ذهب حقهم هدراً. فلو كان الله الآن يحكم ويفعل كما سيفعل يوم الحساب وبهذه الصورة المادية التي يتحدّث عنها الشيخ ويبرر بها استعباد عصابات الملكيات العائلية والعسكرية للمسلمين، فالإلحاد خير من الإيمان، وإذا ثبت الإلحاد وجب إنكار كل كلام عن الله وفعله وبالتالي يرجع الأمر إلى وجوب الثورة على الظالمين بدون خشية التعدّي على من يسميه هذا الفاسق {ظل الله في الأرض}.

من جهة أخرى، في هذه العبارة اعتراف بأن مصدر الحكم هو الأمّة، هو العامّة، الناس. وليس الحكومة. بل الحكومة انعكاس للناس. بدليل قوله ربنا ابتلانا بظلمنا بظالم، ربنا ولى علينا من ظلمنا ظالم}، فلنحذف بهتانه وشتمه لرب العزة ونسبة هذا الظلم لفعله جل وعلا، فتبقى العبارة هكذا: بظلمنا ظالم ومن ظلمنا ظالم. فقوله {بظلمنا} و {من ظلمنا} هو حال الناس، فعل الأمّة. فهذا هو الأصل. فرعه؟ فرعه هو {ظالم} يعني الحاكم، نوعية الحكم، الوضع السياسي الاجتماعي. بالتالي، تكون الأمّة هي الأصل، والحكومة هي الفرع. والحكومة تعكس حال ورأي وفعل وأخلاق الأمّة. الآن، هذه العبارة بهذه الصورة فيها نوع من الوصف، لكن يمكن بناء أمر عملي على هذا الوصف على افتراض صدقه، فيكون الأمر هكذا: لابد أن تكون

الأمّة هي مصدر الحكم وتشكيل نوعية الحكومة ولابد للحكومة من أن تعمل بحسب الرأي العام للأمّة واختياراتها. بهذا نكون قد حوّلنا ونقّينا العبارة الجبرية الوصفية، إلى عبارة ذات أصل نظري وحكم عملي. لكن الجوهر واحد في الحالتين، وهو أن الأمّة مصدر السلطة وروحها.

يبقى علينا إثبات أن تفعيل هذا الجوهر يكون بنظام حكم اختياري، واختيار فعلي بممارسة واقعية منظمة ذات اجراءات مرتّبة وسلمية، حتى فعلاً تكون الحكومة انعكاساً وفرعاً للأمّة واختياراتها وأخلاقها بدرجة مقبولة. وهذا التفعيل يقتضي إزالة الحكم الجبري وإحلال الحكم الاختياري، وإبادة الحاكم الظالم ووضع حاكم عادل بحسب ما تريده الأمّة وتراه في مسألة العدل. وهذا أحسن تأويل لقول الشيخ {أنت نوري، يتولّى عليك نوري}، لكن بتأويل واقعي عقلي وليس مجرّد وصف عاجز سلبي انهزامي.

فكيف نغيّر الحكم الجبري والظالم إلى حكم اختياري وعادل؟ هنا يقترح الشيخ اقتراحاً، أحسن ما يوصف به مع التسامح هو أنه مثل كلام الخوارج يعني هو كلام فيه شيء من حق لكن يُراد به باطل.

ج-طريق تغيير الحكم.

مثال آخر على قهر الروح القرآني للقلب على النطق بالحق، هو أن الشيخ أقرّ واعترف بأن طريق تغيير الحكم الظالم هو عمل أفراد الأمّة، لابد عليهم هم من العمل. وهذا بالضبط ما بيّنه الله في كتابه وعرفه الناس شرقاً وغرباً من العقلاء بل والكثير من الجهلاء أيضاً. لابد على الأمّة من أن تعمل لتغيير الظلم وإزالة الحاكم الظالم. هذا القدر أقرّ به الشيخ أيضاً، وذلك في قوله {ارفع الظلم الأول في دائرتك ربنا يرفع الظلم عنك} وقوله {أنت عايز تغيّر الظلم، غيّر ظلمك، ربك هيشلهولك}.

أول ما قاله الشيخ بعد نسبة الظالم لله تعالى، ثم ادعائه بأن هذا الابتلاء من عدل الله في الأمّة (لاحظ منطق الحقد على الأمّة واحتقار العامّة ماذا يفعل حتى بشيخ يتلو القرءان، نسأل الله السلامة)، قال بعدها {فعليك أنك أنت تصبر}. بدأ بالدعوة إلى الصبر على الظالم. لكن يبدو أنه شعر بأن مثل هذه الدعوة شديدة الخنوع والكراهة في قلوب المسلمين، فقال بعدها {ارفع الظلم الأول في دائرتك ربنا يرفع الظلم عنك}. وهذا ما يُسمّى بالتعجيز في الواقع وإن بدا أنه "حل منطقي" في الظاهر. وضع حلول مستحيلة هو نوع آخر من عدم حل المشكلة. لماذا {ارفع الظلم الأول في دائرتك} حلّ مستحيل عملياً؟ لأسباب.

الأول، وهو الأصل، لا علاقة لوجود ظلم جزئي من الناس بوجود حكم جبري ظالم ظلماً كلّياً وجذرياً لكل الناس. والدليل البسيط على هذا هو أننا نجد أمم كثيرة في الأرض، بالعشرات، كلها ذات حكم اختياري وعادل جذرياً أو حكم اختياري على الأقلّ مع سعي للإصلاح باستمرار، وهذه الأمم فيها مظالم جزئية كثيرة من الأفراد. فهذه مغالطة من الشيخ مفضوحة لولا أن الأميين الذين يجلسون أمامه لا يعرفون شيئاً أو يبدو أنهم كالمسحورين أو الشياطين الخرس لا يريدون تصحيح كلامه وتنبيهه على غلطه.

الثاني، لا يوجد إنسان معصوم، كل إنسان لابد أن يصدر منه شيء من الظلم لنفسه أو لغيره، بنحو أو بآخر، في وقت أو في آخر. فإرادة الإنسان أن يكون معصوماً أو في حكم المعصوم حتى يستحق الحكم الاختياري والعادل هو ربط لأمرين لا رابط بينهما.

الثالث، الأمثلة التي ضربها للظلم في الدائرة الشخصية، كلها أمثلة لا تنطبق في صورتها الفجّة التي ذكرها إلا على بعض الأمّة وليس على الكل ولعله ليس على الأكثر. مثلاً ظلم المرأة والأولاد بعدم الإنفاق عليهم، أو في الشغل والجار ونحو ذلك. فمن أسوأ سوء الظن بالمسلمين، بل بالإنسان عموماً، الادعاء بأن أكثر الناس يظلمون بهذه الطريقة باستمرار ولذلك يستحقون الظلم الواقع عليهم. هذا تبرير خسييس وخبيث للظالمين، وكأن هذا الفاسق لم يسمع ولم يستوعب معنى {اجتنبوا كثيراً من الظن} و {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً}، ولا تنسى أنه يتكلّم عن أمم من المؤمنين والمسلمين، الذين هو نفسه في مجالس أخرى ستجده يمدح فيهم ويكبّر ويعلي من شأنهم لكن في سياق مختلف، فنعم، حين يقتضي السياق مدح المسلمين يمدحهم وحين يقتضي السياق ذمّ المسلمين يذمهم، وهنا يريد تبرير ظلم العسكر الذي أحذيتهم فوق رأسه ورأس أمثاله فلابد أن يقول بأنهم يستحقون ذلك لأنهم أمّة من الظلمة أصلاً وكل واحد يظلم أهله وجاره وشريكه وعائلته، فأين الفرق الكبير إذن بين هذا الظلم للناس بعضهم بعضاً وبين ظلم الحكومة لهم؟ لا فرق أليس كذلك. طبعاً هذا كله وصف للأمّة بنحو كاذب يقيناً، وظنّي حتماً، وتكثير لنسبة الظلم للناس بدون حتى النظر في تفاصيل تلك المظالم وكم منها يرجع إلى الحالة العامّة للمجتمع وهو فرع من مظالم الحكومة للناس وحالة البؤس وانعدام الكرامة التي تجعل بعض النفوس تميل للظلم، وكم منها يرجع إلى اختلاف مقبول بين وجهات نظر مختلفة ومن أجل ذلك وجدت المحاكم للفصل ثم وحتى في زمن النبي كان في الصحابة مَن يسرق ويقتل ويشرب الخمر ويزني ويضرب ويكذب ويدعي بدعوى الجاهلية المنتنة وينافق وما أكثرهم ويختار اللهو والتجارة على الجمعة مع النبي ويتحالف مع الكفار ويرجف في المدينة ويعصي النبي في الحرب حتى كاد النبي يُقتَل وأصيب من رأسه إلى رجليه بسبب عصيانهم وإرادتهم الدنيا والغنائم وهلمّ جرّاً.

الرابع، كم من إنسان في الأمّة لا يظلم لا أهله ولا جاره ولا شريكه ولا عائلته، ومع ذلك لعل هؤلاء هم أشدّ الناس تعرّضاً لظلم الحكومة ! ومن هؤلاء العلماء والأولياء والصالحين. ومع ذلك، وأنا أتحدّث عن تجربة ومشاهدة، تجدهم إما ينزوون في بيوتهم ولا يلعنون علومهم ومنافعهم الدينية للناس بسبب قهر الحكومة فصاروا مثل أصحاب الكهف وما أكثرهم في الأمّة وفي الحجاز تحديداً وأنا جالست ورأيت وعرفت بعضهم. فهل أيها الفاسق تبرر ظلم هؤلاء بل وظلم الأمّة بحرمانها من مثل هؤلاء، بكون الله تعالى هو الذي ولّى هذه الحكومات الجبرية.

الخامس، من الشائع بل والمتوقع عقلاً في البلاد ذات الحكم الجبري والظالم وانتشار الفقر، من المتوقع أن تجد كثير من الناس يميلون إلى ظلم بعضهم بعضاً والاستعلاء على بعضهم البعض، وهذا لأنهم يشعرون بالقهر بسبب الحكومة والوضع العام ولا يجدون مخرجاً ومتنفساً لما هم فيه إلا بمثل تلك الأعمال الظالمة لكنهم في الواقع ضحايا الوضع السياسي العام المتردي. الناس هم الناس في كل مكان بشكل عام، وليس من لا شيء قال المتنبي {لا تشتري العبد إلا والعصا معه / إن العبيد لأنجاس مناكيد} فالعبيد أيضاً من الناس، من بني آدم، ونفوسهم حين تُستَعبَد بالقهر من الخارج ويحتقرهم الناس ويجدوا أنهم طبقة تدوسها الأقدام، فلابد أن يتحولوا ومن الخير أن يتحولوا إلى العصيان والأخلاق الكريهة والأساليب البغيضة في العيش بالأخصّ تجاه مَن يستعبدهم ويقهرهم، فهو نوع من المقاومة أيضاً وتسريع تبغيض الناس في الوضع العام ودفعهم نحو التغيير الجذري أو على الأقلّ على تنكيد عيشتهم عليهم كما نكّدوا عيشة المستعبدين على أنفسهم. نعم، من الوهم بل الكذب الصريح أن يدعي إنسان أن العيش في الحكم الاختياري والعادل نسبياً والحر في الدين والقول سوف يجعل الناس في جنّة عدن، هذا كذب والدنيا دنيا والناس غير مصنوعين ليعيش بعضهم مع بعض في بيئة ضيقة ذات تزاحم وافتقار بعضهم إلى بعض فهذا من الفتنة العامة للناس بعضهم البعض. لكن من المقطوع به والمشهود والمحسوس أن الأمة التي تعيش في ظل الحكم الاختياري والعادل نسبياً والحر في الدين والقول وخصوصاً في القول والكلام بدون خوف على نفسها من الحكومة بسبب كلامها، هذه الأمّة ستكون أكثر رحمة وعدلاً وأعقل وأرقى وستكون في سلّم الترقي ما دامت محافظة على هذه الجذور القوية للشجرة الطيبة للحياة الكريمة.

السادس، وهذا لعله ينطبق على مصر وما شابهها من البلدان خصوصاً، حيث ثلث الشعب تقريباً يعيش فقيراً، والكل تقريباً يعيش تحت قهر العسكر والرعب والخوف مثل الماء والهواء في الجو العام، في مثل هذه الحالة أن يأتي الدكتور ويلقي باللائمة كلها على المصريين بأنهم لا ينفقون على أهلهم ويضايقون جيرانهم ويظلمون شركائهم في الأرباح

ويظلمون إخوانهم في الإرث، فهذا من الإجحاف وشاهد آخر على أنه على هذا الصنف من المشايخ أن يشتغلوا بحكايات الوعظ وتفصيل أحكام الحيض ويدعوا أمر الاجتماع السياسي بالكلية. إلا أنه قد وضع لك مفتاحاً يكفي للمتنبّه، وهو ذكره لثلاثة حالات من أصل أربعة، والثلاثة كلها متعلقة بالمال، عدم النفقة على الأهل وعدم تبليغ الأرباح للشريك وظلم الإخوة في الإرث، والرابعة تتعلّق بمضايقة الجار. الثلاثة مالية، وأين الغرابة في هذا إذا كان ثلث الشعب يعيش في الفقر، في بلد كان قبل أن يتسلّط عليه أبناء الحرام-حسب الحكمة المصرية- أقصد العسكر إليه يقرضون الدول الغربية المال ويغسلون الشارع بالصابون، نعم كان سيئاً أيام الملكية العائلية حيث أبناء الحرام عائلة صغيرة لكن بعد ذلك اتسع الخرق على الراقع وجاء سفلة البشر إلى رأس الهرم. بلد غنية بعمل أهلها ومواردها الطبيعية وقيمتها الدينية والفكرية والأدبية، يتم دفعها إلى أسفل وقاع الأمم بسبب نوعية الحكم فيها بشكل مباشر وكسبب رئيس وأصلي وطاغي، ليس من الغرابة أن ينتشر فيه ما يذكره الدكتور، إن صح ولا أدري ما مدى دقّته لكن لا أستغرب وقوع شيء من ذلك في فئات من الناس كثرت أم قلّت. لكن من جهة أخرى، هذه الثلاثة كلها المفروض أن يكون حلّها بالقضاء، كما كان أيام النبي وكما هو في كل مكان، ولذلك يوجد القضاء حتى يفصل في أمر النفقة والشركة والإرث، وتوجد الشرطة لكفّ مضايقات الجيران (من باب التذكير فقط، في كندا قبل بضع سنوات حين ذهبت لزيارة أحد أفراد عائلتي، ذهبنا إلى أصحابه الأردنيين والفلسطينيين والذين أقاموا "دبكة" في الشقة، في عمارة ومنطقة راقية، وبعد قليل رأينا الشرطة عند الباب تأمرهم بخفض الصوت. فحتى في بلد فيه حكم اختياري وعادل نسبياً وحر إلى حد كبير جداً في الدين والقول، فإنه قد يوجد مَن "يغلّس" على الجيران أيضاً ويريد أن "يدبك" فوق رؤوسهم في الليل، فهذا لا يقتضي أن يأتي جنرال قزم العقل سفيه ليستعبدهم كلهم). بل ذكر الدكتور لهذه الأمثلة هو بحد ذاته دليل على فشل الحكومة المصرية من جهة القضاء وضبط الأمور، إن صدقت الأمثلة وكانت ذات كثرة بالغة كما يوهم كلامه. فإن كانت الأمثلة قليلة ونادرة، يكون كلام الشيخ كذب بحت ومجادلة بالباطل خالصة. فانظر من حيث شئت، لا يوجد له مستمسك.

ثم لابد من التنبّه إلى فرق كبير ما بين ظلم الحاكم وظلم الفرد من العامّة. فالشيخ هنا وبقياس فاسد ولعله من أفسد مظاهر القياس الصوري وفساد أذهان أصحابه عادةً، يضع المظالم الفردية للعامّة في نفس السياق الذي يتحدّث فيه عن مظالم الحكومة الجبرية الطاغية.

من أهمّ الفروق بينهما، أن الفرد إذا ظلم يمكن أن يردّه الحاكم، لكن الحاكم إذا ظلم فماذا يفعل الفرد بل ماذا يفعل المجتمع المفرّق المبعثر الأعزل في قبال جنود الحاكم وشرطته

من العصابات المسلحة المدرّبة المنظّمة؟ نعم، قد يوجد فرد لم يعطي امرأته وأولاده ما يستحقونه من نفقة ويمكن فرض ذلك عليه بقوة القضاء والشرطة بسهولة فلأصحاب الحق مرجع يرجعون إليه لأخذ حقهم وبسهولة نسبية—هذا إن كان يوجد دولة محترمة أو شبه محترمة. ونعم قد يوجد شخص يزعج جاره، وبمكالمة هاتفية واحدة للشرطة يمكن إصلاح هذا الخلل. لكن ماذا تفعل الأمّة حين تنهب العصابة المتسلطة عليها ليس نفقة امرأة وولد بل نفقة الأمّة كلها ومواردها؟ ماذا تفعل الأمّة حين ليس فقط تزعجها عناصر ما يسمّى زوراً "أمن الدولة" والمخابرات والمباحث التي غرضها مراقبة كل همسة ولمسة تقوم بها عناصر الأمّة ودعاتها وعلمائها ومثقفيها بالأخصّ، فتتصل على مَن حينها؟ تتصّل على هامان لتشكو له فرعون؟

فرق ثاني، هو حجم الضرر. الضرر تختلف نوعيته باختلاف كمّيته وشدّته. فليست الجروح مثلاً متساوية في البدن، فجرح من خدشة ظفر تساوي جوهرياً جرح من طلقة بندقية، فكلاهما "جرح" ويسبب "ألماً" ويُبقى أثراً في البدن، لكن من الواضح بالوجدان أن بينهما اختلافاً نوعياً بحسب الشدّة، فالشدّة حين تبلغ درجة معينة ينتقل حكم الشيء إلى طبقة أخرى ولا يمكن المساواة بينهما بناء على النظرة الجوهرية اللغوية السطحية. كذلك الحال في الأمور الاجتماعية السياسية. فالمساواة بين ظلم الأفراد وظلم الحاكم مع الاختلاف النوعي والشدّة والسعة والأثر دليل آخر من أدلة كثيرة على الغباوة المستحكمة بل التغابي فإني لا أظنّ هؤلاء بالغباء الذي يُظهرونه في هذه المسألة خصوصاً.

وبالمناسبة، هذا أيضاً يريك بُعداً آخراً من الكفر بالله وعدله وحكمته، حين يزعم هذا الشيخ أن {ربنا ابتلانا بظلمنا بظالم} فحتى إن فرضنا جدلاً أن هذه الدنيا هي دار الحساب والله هو الذي يولّي ويعزل وكأننا في الدار الآخرة حين يأتي أمر ربك ويقوم الروح والملائكة ويوضع الكتاب ويُقضى بين الناس بالقسط حيث "لا ظلم اليوم"، فعلى فرض كل ذلك وهو كفر صريح بالقرءان وأمر غير معقول، لكن لنقبله الآن مبدئياً وتنزّلاً، فإنه ليس من العدل أصلاً أن يكون ظلم أفراد العامّة مستحقاً لظلم دولة جبرية متغولة من أبناء حرام من الملكيات العائلية والعسكرية. فأين العدل في العقوبة على فرض أنها عقوبة؟ هذا النوع من الحكم الجائر لا يقبله الناس من بعضهم البعض، فضلاً عن أن يقبلوا نسبته إلى الله تعالى. لو أخطأ هذا الدكتور الجرّاح في عملية جزئية، ولنقل أنه قام بألف عملية جراحية ناجحة، ثم أخطأ في واحدة منها خطأً قابلاً للتعديل والإصلاح، فرُفعَت عليه دعوى فسحبت الدولة رخصته مباشرة وقطعت يداه وصلبته ثلاثة أيام ثم عرّضته للاغتصاب الجماعي على يد كلاب مسعورة ثم سلخت جلده وتركته يتأوه بلا علاج ولا طبيب حتى مات بغمّه، فلا أظنه سيقول بأن هذا جزاء

عادل. هذه العقوبة الفادحة لذلك الخطأ الجزئي القابل للإصلاح بسهولة نسبية، هو جور تام ولا يقوم به صاحب عدل أو حكمة فضلاً عن رحمة ولطف ورأفة. الآن، مظالم جزئية بين بعض الأفراد، وليس كل الأفراد بل بعضهم، وكلها قابلة للإصلاح بسهولة نسبية بالرجوع إلى المحاكم ومع حصول المتضرر على التعويض العادل، كيف يقال بأن العقوبة عليها هي بأن توضع على رقاب الأمّة عصابة من ملاعين الدنيا والآخرة ممن غضب الله عليهم فأصمّهم وأعمى أبصارهم، ليجعلوا حتى شيوخ المسلمين وعلمائهم يتحوّلون إما إلى التخفي والتقية وإما إلى الرمز والإشارة وإما إلى الحذر وكتم ما يعلمونه ويعرفونه بدرجة أو بأخرى وإما إلى عدم قول الحق بصراحة وبيان تام كما يجدونه في صدورهم وفي كتبهم وما ورثوه من علم، فضلاً عن كل ما يحدث للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ليلاً ونهاراً، فضلاً عن الجو العام للإهانة والمهانة والمذلة داخل الدولة وفي عين أهل الأرض بسبب كونهم يعيشون تحت مثل هذا الحكم الجبري والظالم، وهذا كله في طرف وما يحدث يومياً من مظالم على يد أفراد الدولة ذاتها من أخذ الرشاوى والحكم الجائر وسوء استغلال المناصب ونهب موارد الدولة لصالح العصابة ومن حولها وما إلى ذلك. فهل هذا عدل حتى يزعم هذا الفاسق الجرئ على الله ليقول {ربنا ابتلانا بظلمنا بظالم}؟ هل هذا يشبه معاملة الله للمؤمنين بل والناس {إن الله بالناس لرؤوف رحيم}. أين العلاقة بين الجريمة والعقوبة هنا؟ لاحظ كيف تؤدي عبادة الحاكم الظالم إلى الكفر بالله نفسه ورميه بالعظائم.

ولعل من النافع تذكير شيوخ المسلمين ممن لا يأخذ مالاً من الحاكم الظالم على الأقلّ، بقوله تعالى {ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ، لا هم منكم ولا منهم ، ويحلفون على الكذب وهم يعلمون. أعدّ الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون.} فلهم نصيب من أحد إشارات هذه الآية، لأنهم يتولّوا هؤلاء الحاكم الظلمة الذين عليهم غضب الله، ثم {لا هم منكم} يعني من عامّة المؤمنين فهم أعداء الأمّة، {ولا منهم} يعني ولا حتى هم من العلماء ومن يهمه أمر حفظ الدين وتعليمه، {ويحلفون على الكذب وهم يعلمون} ومثال ذلك ما تجده من كلام هذا الدكتور هنا وكل تأكيداته الباطلة والمزورة ولا أحسبه إلا يعلم في قرارة نفسه بطلان ما يقول به ويحاول تبريره لنفسه قبل تبريره لغيره لأسبابه الخاصة. فليحذر الوعيد الوارد بعدها، فقد جاءه النذير.

تنبيه آخر، قول الدكتور {فعليك أنك تصبر بقى} كأوّل وصفة علاج للأمّة المظلومة، وهو ما يسمّيه بالصبر زوراً. الحق أن الصبر صفة مَن يعملون للتغيير بالحق، وليس لغيرهم حظ فيه. ما ينصح به الدكتور هنا ليس صبراً، بل استسلاماً وشرحاً للصدر بالظلم وركوناً إلى الذين

ظلموا ومعاونة لهم بالسكوت وبدفع الضرائب وبتعمير دولتهم والاعتقاد بشرعية وجودهم والخدمة العسكرية تحتهم وما أشبه ثم ما زاده الشيخ من ترويج الاعتقاد بأن رأسهم الظالم ظل الله في الأرض وما أشبه من كفريات وعظائم لا يتجرأ عليها مَن يرجون لله وقاراً. الصبر واجب بل شرف الذين يعملون على تغيير الحكم الجبري وإبادة وجود الحاكم الظالم من على وجه الأرض وإلحاقه بسلفه الطالح في جهنّم في أقرب وقت، الصبر لهؤلاء وما سيعانونه فكرياً وجسمانياً على يد أعوان الظالم مثل هذا الشيخ وأمثاله الذين يضعون العراقيل والعقبات في طريق التغيير والإصلاح الفعلي.

مغالطة أخرى: قول الشيخ {وفي الآخر تقولّي عايز يتولى عليك عمر بن الخطاب ! هيهات.}

أول الكلام، ومع التسليم مبدئياً بالمضمون الإيجابي المفترض لولاية عمر بن الخطاب، فإن هذا النوع من الاعتراض مبني على مقارنة أسفل سافلين بأعلى عليين، وكأنه لا يوجد وسط ولا درجات أخرى. يعني الشيخ يريد أن يقول للمصريين، إما السيسي الطاغية اللصّ المتغلّب الغبي المنافق، وإما عمر بن الخطاب العادل النزيه المختار العاقل المؤمن. وكأنه لا يوجد احتمال غير ذلك في الوسط. إما قاع الظلمة وإما ذروة النور، لا يوجد وسط. هذا التفكير لا أجد يقوم به فعلياً في إدارة أمور دنياه، بل ولا دينه، ولا حتى الشيخ نفسه يفعل ذلك جزماً وأقطع بها على الغيب لأنه ذكي ولا يوجد ذكي يتصرّف في حياته بهذه الطريقة وهو طبيب ولا يوجد طبيب يفكّر بهذا النحو يقيناً.

ففي أمور الدنيا، كثيراً ما يكون أمامنا اختيارات متعددة، بعضها أحسن من بعض. مثلاً، لا يوجد فقير جدّياً يقول: إما سأرضى بالأكل من المزبلة وإمّا سآكل الحلويات المصنوعة بالذهب على أطباق الزمرّد مع الكافيار النادر. النمط الطبيعي هو أن تقول: لنخرج من الأكل من المزبلة إلى الأكل من الطعام المنتهي الصلاحية إن وجد. ثم من المنتهي الصلاحية إلى غير المنتهي الصلاحية ولو كان رديئاً. ثم من الصالح إلى الرخيص المقبول. ثم هكذا تدرجاً حتى تصلح إلى الأكل الصالح الحسن اللذيذ. وكذلك الحال في كل أمور الدنيا، من ملبس ومسكن وما أشبه.

في الطب، هل يريد الدكتور إقناعنا بأن المريض حين يأتيه ويقول له "يا دكتور عندي ورم سرطاني ماذا أفعل"؟ سيقول له:لا أستطيع أن أعمل لك أي شيء لأنه لا يمكن أن تتحوّل إلى أصحّ إنسان على وجه الأرض، بالتالي اذهب ومت وارضَ بما قسمه الله لك. يقيناً لا يقوم بذلك.

فماذا عن الدين؟ حتى في الدين وفي الفقه الذي يصدّع الشيخ وأهل الأزهر الناس بوجوب اتباعه ليل نهار، لا يوجد في الدين ولا الفقه تبعهم مثل هذا النمط من التفكير بل ولا في التصوف. فأما في الدين، فتوجد أيضاً درجات، ولذلك تجد في القرءآن مرّة يأمر بالتسبيح في وقتين {قبل طلوع الشمس وقبل الغروب} ومرّة ومرّة في أكثر من ذلك حتى تصل إلى أربعة أو ثمانية على التفصيل {قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار} على احتمال أن {آناء} جمع آن وأقلّه ثلاثة والأطراف جمع طرف وأقلّه ثلاثة، أو حتى على الدوام {على صلاتهم دائمون}. كذلك في الرواية، جاء أعرابي وحلف أنه لا يزيد ولا ينقص على خمس صلوات وصيام رمضان ونحو ذلك فأجازه النبي. وكذلك في الفقه، قالوا في القواعد الفقهية {ما لا يُدرَك كُلّه لا يُترَك كلّه} أو {لا يُترَك جلّه}، وكذلك قالوا بقاعدة ارتكاب {أخف الضررين}، وكذلك وضعوا مراتب الضرويات والحاجيات والكماليات وأوجبوا مراعاتها على هذا الترتيب وهي قاعدة عقلانية تجدها عند المسلمين وغير المسلمين. بل حتى في تفصيل الفقه، فالصلاة قائماً فإن لم تستطع فقاعداً وإن لم تستطع فعلى جنبك فإن لم تستطع وهكذا تنزّلاً حتى أجازوها بمجرّد إيماء العين، ولم يقولوا: بما أنك لا تستطيع أن تقوم فصلِّ إيماءً بالعين كما قال الشيخ هنا حين جعل الأمر السياسي إما الوضع المزري للظالم الباغي المطلق وإما ولاية عمر بن الخطاب.

هذه الحيلة في تخدير العامّة معروفة في العالَم. أنصار الوضع القائم المزري يستعملونها كثيراً، وفي أماكن مختلفة ولو لم يكونوا من المسلمين، نعم، كما أن الكفر ملّة واحدة فالطغيان ملّة واحدة وإذا درسته في مكان ستفهم عنه كثيراً أينما كان. حتى يثبّطوا الناس عن التغيير الممكن والجزئي، يضعون أمامهم التغيير المطلق والكلّي، والذي بإزائه يبدو أن تغيير جزئي باهتاً أو تضحية غير ذات جدوى. والشيخ، مثل بقية شيوخ السنّة عادةً بل شيوخ الطغيان عموماً من أي ملّة، يستعمل هذا الأسلوب الخبيث من حيث يشعر أو لا يشعر حين يعوّد مَن يستمعون له على هذا النمط من التفكير في الشأن السياسي. وأقول في "الشأن السياسي" لأنك ستجدهم يقولون بغير هذا النمط في الأمور الأخرى.

فعلى سبيل المثال: تجده يثبّط الناس عن تغيير عيشة البهائم السياسية وقبول الظلم والعنف والقمع حين تقوم به العصابة العسكرية ويُرجع الأمر إلى القضاء والقدر وما شاكل من السخف بل الكفر، لكن هو هو نفسه الذي تجده يجيب بوجوب المقاومة والخروج والإشهاد والإعلان بالوضع المزري والسعي للتغيير وخلع الطاغية... حين يكون زوجاً ! تجد هذا في جوابه عن سؤال امرأة تقول "زوجي بيضربني دايما بدون سبب فماذا أفعل؟" بتاريخ ١٦ مايو ٢٠٢٣ م. هنا تجده المقاوم الشرس، وداعية الخروج على الطاغية، ووجوب رفض العيش

بدون كرامة، ويحرّض المرأة على خلع زوجها وإشهاد الجيران على عنفه حتى تذهب إلى القاضي بذلك، وفي تحريضها ينبّها على أمور منها أن أولادها أنفسهم لن يحترموها إن وجدوها تتعرّض للإهانة من قبل زوجها وهي تقبل ذلك على نفسها..آه بس، هل فهمت الآن يا شيخ الأزهر وغيرك من الشيوخ لماذا فقد الكثير جداً من شباب هذه الأمّة احترامهم لكبارهم ومشايخهم وسلفهم، بالضبط لنفس السبب الذي تذكره أنت الآن هنا-ضمن أسباب أخرى لكن يبدو لي أن هذا أهمها-فإنهم وجدوا الأُمّة تتعرّض للضرب والإهانة على يد البعل البغل الذي هو الدولة الطاغية وهي راضية ساكتة خانعة تتحجج بالقضاء والقدر ووجوب الصبر من أجل مصلحة الأولاد وما شاكل ذلك، بالضبط تماماً ما رددت أنت عليه في هذا التسجيل حين حرّضت المرأة على الخلع. وليس من قليل وحتى في تاريخنا سمّوا عملية تبديل الحاكم باسم " الخلع" و "العزل" {ممن عزلت}، وحين أراد مالك بن أنس نقض بيعة العباسيين المجرمين وضعها تحت ستار عدم اعتبار طلاق المُكرَه فنفى بذلك شرعية الإكراه فعذّبوه على ذلك. فلو قام هذا الشيخ مع الأمّة بما قام به مع هذه الأمّ، لكان أولى بل لنطق بالحق، وسيُحاسَب بآية {ويل للمطففين} إن لم يتب. بل تستطيع أن ترى كيفية تنفيس المظلومين المقهورين المستعبدين عن ذلك لكن ليس كما يجب بالثورة على الظالمين لكن بالثورة على بعضهم البعض، المستضعف يقهر المستضعف مثله، والمستعبد يشتم المستعبد، والذليل يحرّض على الذليل. فلأن زوج هذه المرأة، والذي سارع بالفتوى ضدّه والتحريض على خلعه، ليس إلا فرداً من عموم المصريين لا حول ولا قوّة له على فعل أي شيء ضدّ الشيخ، ولن يكلّفه شيء التحريض ضدّه، فحينها نطق بالحق وبمقتضى الإسلام والرؤية القرآنية في الحرية والمسؤولية، ونسي القضاء والقدر وإخبار المرأة بأنها تتعرض للضرب والقهر لأنها تستحق ذلك ولم يقل لها "أنت تفعلين كذا وكذا من الذنوب وفي الآخر عايزة تقوليلي عايزة يتولى عليكي عثمان بن عفان الذي تستحي منه الملائكة". هذا اللغو لا تجده حين يتعلّق الأمر بأفراد المسلمين ورجالهم. هنا الكلأ مباح، كُل في لحومهم وحرّض عليهم وقل ما تشاء. لكن حين تنوب نوبة الكلام في الحكومة العسكرية الواضع حذائها على رؤوس المصريين بل على رؤوس العرب أجمعين منذ قرون، فالأمر يختلف، ولابد من إدخال اللوح المحفوظ في الموضوع، رجماً بالغيب وجرأةً على الله وآياته ورسوله.

د- علاقة الفرد بالحكم العام.

مغالطة أخرى بل لعلها مكفّرة على القول بالتكفير باللازم القريب، قوله {ده أنت نوري يتولى عليك نوري، فهمت بقى المسألة}. والجواب طبعاً: نحن فهمنا المسألة لكن أنت لم تفهمها. فتعال لنرى المسألة.

أوّلاً، وعلى أقلّ تقدير، هذا القول معارض بقول مثله بل أشهر وأعقل منه ومشهور عن بعض السلف وبل سلف الصوفية الكبار الذين يكاد يجمع على صلاحهم حتى غير الصوفية. وهو قول الفضيل بن عياض {لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان} وشرح ذلك فقال {إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد}. وجه الاستدلال ليس النمط السلبي من محاولة تغيير "السلطان" عبر الدعاء فقط، وكأنهم لم يسمعوا قول النبي {والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم}، أو قوله {والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه فلتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله تعالى بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم} أو قوله {لتأمن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم} ونحوها من المرويات التي تدلّ في جملتها على أن الدعاء بدون عمل لتغيير الظلم لا يُجاب. لكن بغض النظر عن ذلك. يكفي ما بيّنه الفضيل من أن صلاح السلطان سبب صلاح العباد والبلاد. وليس العكس. ليس صلاح العباد والبلاد سبب صلاح السلطان كما يقول الشيخ هنا {أنت نوري يتولى عليك نوري زيّك}. وأظنّ الفضيل بن عياض أعقل وأتقى من الشيخ، ولا أظنّه يعارض ذلك.

ثانياً، قاعدة {أنت نوري يتولى عليك نوري زيّك} تتضمّن افتراض أن المؤمنين والمسلمين والمنافقين واليهود وكل من كان يتولى عليهم النبي في المدينة، كانوا مثله في النورانية. وهذا كفر كما لا يخفى. إذا كان-كما يروون والشيخ يقرّه على ما أذكر-أبو بكر وحده يزن إيمانه بالأمّة كلها، فالنبي من باب أولى أن تكون ذرّة من نوره تزن الأمّة كلها. فلا أحد من المؤمنين فضلاً عن الأعراب المسلمين بالظاهر فضلاً عن المنافقين وابن سلول ومَن صدق أو مَن غدر من اليهود في المدينة كان يستحق بحسب نورانيته أن يتولى عليه النبي من باب {أنت نوري يتولى عليك نوري} مثلك. الأوس والخزوج كانوا في التظالم والتباغض والعنصرية الجاهلية المنتنة والتقاتل والاختلاف على أمر عظيم، بل بايعوا النبي على أمل أن يكون النبي وسيلة للصلح بينهم وجمعهم كما تقرأه في السيرة، هؤلاء لم يكونوا لا هم ولا ابن سلول وبقية فرق المنافقين الذين بيّنهم الله في القرءآن من أهل المدينة ومن حولها يستحقّون أن يتولّى عليهم النبي. حين نزلت في الجمعة {إذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً} قالوا في الرواية أن كل مَن في المسجد خرج للتجارة واللهو ولم يبقَ مع النبي إلا ما بين العشرة إلى العشرين، فهل كان هؤلاء يستحقّون أن يتولى عليهم النبي بقاعدة النورانية المزعومة هذه.

ثالثاً، في قاعدته هذه إقرار ضمني بأنه على الدولة أن تكون على صورة العامّة، لأنه جعل الأصل حال العامّة {أنت نوري}، والفرع حال الحكومة {يتولى عليك نوري زيّك}. ممتاز. هذا إقرار بالأصل الشوري العام أو الديمقراطي بنحو جيد. فلنأخذ بجوهر ما أقرّ به، ولندع بقية ما زعمه له. لكن جوهر ما أقرّ به يدعو إلى تطبيق باب الوكالة والتفويض من الفقه أيضاً. فهو يزعم بأن العصابة من "أبناء الحرام" العسكر اللصوص المتجبّرة تمثّل عامّة المصريين أو عامّة المسلمين في أي مكان، وهذه دعوى منه وعليه البيّنة ولا بيّنة. التمثيل في الفقه أيضاً، لا يكون إلا بتوكيل من صاحب الحقّ، ثم وكيلك يمثّلك بقدر ما وكّلته به. لا يستطيع أحد أن يضربك ويجبرك على أن يكون وكيلك وممثّل أمرك واختياراتك، هذا أمر غير معروف لا في العقل ولا في الشرع ولا عند الطاغين الذين يعبدهم أنفسهم فإن طاغيتهم لو عمل أحد عملاً ونسبه له بدون أن يكون هو المفوّض له فيه لكان أوّل من ينكر عليه ويعاقبه عليه. ففي الرواية، في إمام الصلاة (وقد علمنا من روايات اختيار أبي بكر أنهم قالوا: رضيه النبي لديننا فنرضاه لدنيانا. يقصدون برضيه لديننا أي لإمامته في الصلاة. فقياس رئاسة الدنيا على إمامة الصلاة لها وجه إذن، وفيها تأصيل لأهمّية اختيار المسلمين لإمامهم عموماً): روي {لعن رسول الله ثلاثة: رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون}، وقال أحمد بن حنبل وإسحاق في هذا {إذا كره واحد أو اثنان أو ثلاثة فلا بأس أن يصلي بهم حتى يكرهه أكثر القوم}، حسناً، فحسب قول النبي هو ملعون، وحسب تفسير أحمد وإسحاق فلابد أن {يكرهه أكثر القوم} وهل الحكم الاختياري إلا هذا، وهل الديمقراطية إلا النظر إلى ما يرضاه أو يكرهه {أكثر القوم}، لكن بطريقة واقعية يمكن معرفتها وحسابها.

وفي البخاري، في حديث العرفاء، أنه حين أذن المسلمون لرسول الله في عتق سبي هوازن، قال النبي {لا أدري مَن أذِن ممن لم يأذن} دقق في هذا الحديث المقتول المهجور على عظمته وأهمّيته، لم يُرضي النبي مجرد معرفة الإذن العام المبهم، بل طلب التفصيل فقال بعدها {فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم} فرجع الناس "فكلمهم عرفاؤهم فرجعوا إلى رسول الله فأخبروه أن الناس قد طيّبوا وأذنوا". فالسبي ملك للمسلمين، وأملاكهم من حقهم فلابد فيها من إذنهم، لكنهم كثر فكيف نفعل؟ النظام العرفائي في السياسي والذي صاروا يسمّونه بالاسم الأقلّ دقة وتعبيراً بالنظام "الجمهوري"، لأن العرفاء هم الذين يعرّفون ما طابت به نفوس وأذنت به إرادة أصحاب الحق. وسماهم النبي {عرفاؤكم} وقال {فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم} دقق في كلمة {أمركم} فهو أمر الناس وليس أمر الله وأمر النبي. فلم يكتفي بالإذن العام، حتى طلب الإذن المفصّل الواضح عبر نظام العرفاء. ولا يكونون عرفاء الناس إلا إن كانوا عرفاء الناس ! نعم لابد من توضيح الواضحات في زمن الطغيان الذي يطغى على

القلوب كما يطغى على الأعين وكل شيء آخر. قال النبي {عرفاؤكم} بالتالي الناس هم الذين يختارونهم ويرضونهم للتعبير عنهم والنيابة في توصيل حال نفوسهم وإرادتهم إلى مَن ينفّذها والذي هو في هذه الحالة النبي.

فلمعرفة مَن يرضى بإمام صلاة الجماعة ممن لا يرضى به لابد من معرفة رأي {أكثر القوم} ولا يكون إلا بنوع من الانتخاب وتعريف كل فرد برأيه، ويسهل هذا في المساجد الصغيرة عادةً لكن لابد من إيجاد آلية لتطبيقها دائماً.

ولمعرفة مَن يرضى بالأمور المتعلقة بالملكية، ومن باب أولى بالنفوس، لابد من معرفة إذن الأفراد، فحين يكثرون لابد من العرفاء فيكونون واسطة ما بين العامّة وبين منفّذ أمرهم. ولابد إذن لكل طائفة من الناس أن تختار مَن تثق بأنه يسمع كلامها ويعقل عنها ويبلغه سليماً لمنفذه.

وكذلك في باب الوكالة، لا يمكن تمثيل إنسان إلا بإذنه. فنقرأ في الفقه: رأي يقول {الأصل أن لا ينوب فعل الغير عن فعل الغير إلا ما دعت إليه الضرورة وانعقد الاجماع عليه} وعليه {لا تجوز نيابة من اختلف في نيابته}. ورأي يقول {الوكالة في كل شيء جائزة إلا فيما أجمع على أنه لا تصح فيه من العبادات وما جرى مجراها}. قال ابن رشد {واتفقوا على وكالة الغائب والمريض والمرأة المالكين لأمور أنفسهم} فالنظر إذن هنا إلى صحّة التوكيل، وكيف نتبيّن فعلاً أنه وكّل من يدعي أنه الوكيل. كذلك الحال في الحكم، لا يمكن افتراض أن الحكومة وكيلة على الناس والناس أحياء حاضرون لهم قول خصوصاً وهذا الزاعم أنه وكيل الأمّة يعاقب بالقتل والحبس والتعذيب مَن يُعلن أنه رافض له، وهذا ظاهر. ومن اللطائف، أنهم قالوا في تحديد مَن يصح توكيله، يعني الوكيل {وشروط الوكيل أن لا يكون ممنوعاً بالشرع من تصرفه في الشيء الذي وكّل فيه، فلا يصحّ توكيل الصبي ولا المجنون، ولا المرأة عند مالك والشافعي على عقد النكاح أما عند الشافعي فلا بمباشرة ولا بواسطة أي بأن توكّل هي من يلي عقد النكاح ويجوز عند مالك بالواسطة الذكَّر} أقول: عدم صحّة توكيل المجنون ينبغي أن تكون كافية وحدها في إبطال كل دعاوى وكالة طغاة العرب عموماً، وأما عن توكيل الصبي فعلى قول جلال الدين الرومي بأن أبناء الدنيا صبيان في الحقيقة فينبغي أيضاً عدم صحة توكيل عبيد الدنيا هؤلاء. أما الوكالة، فهي {عقد يلزم بالإيجاب والقبول كسائر العقود} أقول: وهذا ما يبطل بدعوى العصابة المتغلّبة أنها وكيلة الأمّة فإنه لا عقد هنا ولا إيجاب ولا قبول ولا حتى على مستوى عقد شراء بصلة، فعجباً من هؤلاء المشايخ الذين يشترطون في الصغائر ما لا يبالون بنفيه في الكبائر. ثم عقد الوكالة إما أن يكون معبّراً عن وكالة عامّة أو خاصة، {فالعامّة هي التي تقع عنده بالتوكيل العام الذي لا يُسمّى فيه شيء دون شيء} فهذا عند مالك بن أنس

الذي يجيز الوكالة العامة والخاصة التي يتم تحديد وتسمية فيها شيء محدد يجوز التوكيل فيه. فماذا قال الشافعي، والدكتور هنا شافعي مثل كثير من شيوخ الأزهر؟ الشافعي قال أمراً يكفي وحده لتغيير الحياة السياسية في العالم العربي الإسلامي كله إن تم تطبيقه بحق وهو قوله {لا تجوز الوكالة بالتعميم وهي غرر وإنما يجوز منها ما سُمّي وحُدِّد ونُصّ عليه} وعلّق ابن رشد على قول الشافعي بقوله {وهو الأقيس، إذ كان الأصل فيها المنع إلا ما وقع عليه الإجماع}. أقول: الأصل في الوكالة ماذا؟ الأصل فيها {المنع}، فهذا في كل وكالة. ونفس الأمر يقال في كل دعوى لوكالة حكومة مخصوصة عن الأمّة. ثم نوع الوكالة، المتفق عليه هو الوكالة الخاصّة، أي التي يتم تحديد وتسمية فيما فيه التوكيل ويُنصّ عليه، وهو ما يُعرف اليوم بالدستور والقوانين التي تصنعها العامّة أو عرفاء العامّة ونوابها بالنيابة الصحيحة الفعالة. نفس هذا الأمر تماماً لابد أن ينطبق على جميع أمور الحكم. كل فرد يملك أمر نفسه وأملاكه له حق المشاركة في صنع شكل الوكالة التي عليها يتم اختيار وكيل الأمّة في باب التقنين والتنفيذ والقضاء وهي الأبواب الثلاثة للدولة.

لترى أهمّية مسألة الوكالة هذه، تأمل ما ورد فيها شرح اسم {الوكيل} من أسماء الله. في كتاب "كشف المعنى عن سرّ أسماء الله الحسنى" لابن عربي. قال {التعلّق} يعني التعلّق باسم الوكيل يكون بـ {افتقارك إليه في أن يوفّقك أن تتخذه وكيلا} أقول: فالله تعالى هو الوكيل، بالتالي أنت الموكِّل لله باتخاذك إياه وكيلاً، وهذا نصّ القرءان {لا إله إلا هو فاتّخذه وكيلا} و قال {لا تتخذوا من دوني وكيلاً}. فإذا كان الله تعالى، ربك الذي خلقك، لا يتوكّل عنك إلا بعد أن تتخذه وكيلاً، فماذا تريد بعد ذلك لإثبات وجوب التوكيل الصريح من صاحب الحق نفسه، هذا والكلام في الله تعالى وليس في ملعون من ملاعين البشر المجرمين. ومن هنا تجد صيغ توكيل الله في القرءآن مثل {قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل}. ثم زاد ابن عربي بشرح التحقق باسم الوكيل فقال {الوكالة مطلقة ومقيدة ودورية. وهي اسم مفعول تحتاج إلى جعل جاعل. ولما فطر الله تعالى العباد وجعلهم خلف حجاب الأغيار والنظر إلى الأسباب، خاطبهم من خلف هذا الحجاب أن يتخذوه وكيلاً في مصالحهم.} أقول: إذن حتى توكيل الله المقصد منه أن يكون وكيلك في مصالحك أنت، مصالح العباد، {يتخذوه وكيلاً في مصالحهم}، فهذا هو الوكيل الحق الذي ينظر إلى مصلحة مَن وكّله، خلافاً للطغاة الذين يزعمون أنهم وكلاء الأمّة وهم لا ينظرون في الحقيقة وأوّلاً إلى إلا مصلحتهم هم ثم بعد ذلك وكوسيلة لتحصيل مصلحتهم قد ينظرون في بعض ما يصلح العامّة كما ينظر مربّي البقر لمصلحة البقر حتى يستطيع أن يحلبهم ويذبحهم حين يشتهي أكل اللحم أو يبيعه وليس نظراً للبقر أنفسهم. يكمل ابن عربي فيقول {ومن عموم الوكالة أن يُفوّض إليه أن يوكّل مَن شاء، فوكّل الأنبياء صلوات الله عليهم في

التعريف بأسباب المصالح والسعادة وتعيينها وأن الرشد في استعمالها والسفه في إهمالها}
أقول: هذا شرح لأصل بعثة الأنبياء لا أعرف أحداً ذكره أو كتبه أو عرّف الناس به قبل صاحب هذا الكتاب، دقق في ما يقوله، فهو يقول التالي: العباد وكّلوا الله وكالة عامّة ليوصلهم إلى مصالحهم، ثم الله تعالى وكّل الأنبياء ليقوموا بتعريف الناس بأسباب مصالحهم وسعادتهم، مما يعني أن العباد هم الذين وكّلوا الأنبياء بواسطة توكيلهم الله تعالى، فالأنبياء وكلاء للمؤمنين المتوكّلين على الله وليسوا وكلاء على الناس، "لست عليكم بوكيل"، وليس: لست لكم بوكيل (والنفي هنا يتعلّق دائماً في القرءان بالكافرين أو غير المؤمنين حصراً، كل نفي للوكالة والحفظ يتعلّق بهؤلاء، وليس بجميع الناس مطلقاً، فالنفي إما عن الناس قبل الإيمان وإما عن غير المؤمنين حصراً، وأما أهل الإيمان فخارج الآيات النافية لوكالة الرسول، وهذا أمر مهم ودقيق يغيب عن الذين يتسرعون في قراءة القرءان ويظنون أن النبي ليس وكيلاً لأحد مطلقاً، فلم يفرّقوا ما بين المؤمن وغير المؤمن، ولم يفرّقوا بين الوكالة على الإنسان أو الوكالة للإنسان). قال الله "وعلى الله فليتوكّل المؤمنون"، فالتوكّل على الله خاصّية المؤمن، ومن توكّله على الله واتخاذه وكيلاً بالوكالة العامّة في النظر لمصالحه وإيصاله لسعادته، بعث الله الأنبياء، فالنبي وكيل الوكيل، والموكّل هو المؤمن الذي اتخذ الله وكيلاً. فصاحب الحق هو المؤمن ذاته، والله تعالى من رحمته أذن بتوكيله بل دعا إليها من باب الرحمة فقال {فاتّخذه وكيلا}. يكمل ابن عربي رضي الله عنه فيقول {التخلّق} يعني التخلّق باسم الوكيل {"وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه"، فقد وكّلك فيما استخلفك فيه من أهل ومال وعمل ومُلك. وتعلم أن للوكالة شروطاً إن لم يفِ بها الوكيل لم يصحّ تصرّفه. فإذا تصرّفت به وله وعنه كنتَ وكيلاً محموداً. فهذا الاسم من دون سائر الأسماء بعيد أن يوجَد فيه معنى فاعل} أقول: إذن الله تعالى استخلفك في أمر أهلك ومالك وعملك ومُلكك، بالتالي لا يحقّ لإنسان أن يسلبك هذه الأمور أو يتصرّف فيها بدون إذنك ورضاك وإلا كان معتدياً على استخلاف الله تعالى لك فيها. وهذا بالضبط ما تقوم به العصابات الحاكمة جبراً. هذا أمر. الأمر الثاني، للوكالة شروطاً {إن لم يف بها الوكيل لم صحّ تصرفه} على رأس هذه الشروط أن يكون وكيلاً شرعياً لمن وكّله، وهذا لا يكون بالنسبة للأمّة إلا حين توكّل باختيارها مَن يتصرف بالنيابة عنها، ثم على هذا الوكيل أن يتصرف في حدود وكالته حصراً وإلا لم يصحّ تصرّفه بالتالي يجوز للأمّة مراقبة ومحاسبة الحكومة في حال خرجت عن حدود الوكالة التي أعطتها إياها وتصرّفها غير صحيح خارج حدود الوكالة. وأخيراً يوجد وكيل محمود، ووكيل غير محمود، فليس كل صاحب وكالة شرعية بمحمود، فيدخل هنا الذمّ والقدح أو المدح والحمد على الوكلاء بحسب تصرفاتهم في حدود وكالتهم، وتنزيل هذا على أمر الأمّة يكون بمراقبة ونقد وحرية تعبير الأمّة فيما يتعلّق بالحكومة وتصرفاتها، ولابد أن

يكون للأمّة قوّة فوق قوّة الحكومة حتى تستطيع محاسبتها وحتى فسخ وكالتها، وكيفية تفعيل ذلك يطول وليس هذا موضعه لكن في الجملة تستطيع الأمم الجديدة على الحرية التعلّم من الأمم العريقة فيها ولو من باب الاستفادة الأولية ثم إعادة النظر في التجارب الإنسانية {قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل}.

ما معنى كل هذا؟ معناه: حتى في الدين، وحتى في أمر الله والرسل، صاحب الحق الأصلي هو الفرد. وبدون توكيله، لا يكون الله وكيله "الله مولى الذين ءامنوا وأن الكافرين لا مولى لهم"، ولا يكون الرسول وكيل له "لست عليكم بوكيل". هذا كتاب الله الحق، هذا دين الحق، وهذا أمر المحقّين الذين يعرفون الحق ويعملون به وبه يعدلون.

الآن، أين هذا كلّه، قرآناً وروايةً وفقهاً وعرفاناً صوفياً، من ما يقوله الدجاجلة في أمر العصابة المعتدية المارقة التي تحكم الأمّة بالحديد وتزعم أنها تمثّله أو يزعم لها شيوخها أنها تمثّلهم من باب {أنت نوري يتولى عليك نوري زيّك} و قوله بعدها مستشهداً برواية {كيفما تكونوا يولّى عليكم}. هذه دعاوى توكيل وتمثيل بغير حق، وبغير بينة، وبغير شرع، وبغير عرفان، وبغير واقع، وبغير أي شيء على الإطلاق. ولو تجبّر أحد على هذا الشيخ وقهره بالعنف وسرق سيارته أو اغتصب حبيباً له، فلن تجده يقول: حبيبي هذا قد ظلم لذلك سلّط الله عليه هذا الظالم. ولم يقل للمرأة المضروبة: أنت ظالمة ولذلك تولّى عليك ظالم فاصبري عليه {أنت عايز تغيّر الظالم غيّر ظلمك}. هذا كذب على الله، وكذب على المسلمين، وكذب على الأمّة والناس أجمعين. والكذب في النار، فالفرار الفرار أيها الشيخ قبل فوات الأوان، فقد جاءك النذير، والله على كل شيء وكيل.

...

٦-{وما معنى عليكم بالجهاد عند الرباط في عسقلان؟ وما هو الرباط؟

الجهاد قولنا عبادة، عبادة أمة لو الإمام قالك احنا هنحارب اليهود ، حي على الجهاد، روح اتطوع. ادي معنى الجهاد. جهاد اللى هو جهاد العدو بالسلاح، طب مفيش جهاد عدو بالسلاح، يبقي جهاد النفس،جاهد نفس، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾.

وايه هو الرباط؟ الرباط هو انك تبقي في نقطة حراسة على الحدود تمنع تهريب المخدرات وتمنع دخول الأسلحة لبلدك، اللى بيستعملوها في قتل الناس، فانت قاعد على الحدود بينا وبين اليهود، تمنع تجارة المخدرات ومرور الأسلحة اللى بتستعمل وتتجمع في سينا علشان ايه! يفجروا دوريات الشرطة هناك، تمنع دي. دي شغلتك، او تقعد عند السلوم علشان تمنع العيال الدواعش اللى في ليبيا يدخلوك سلاح وشوية عيال متشردين على بلدك يعيثوا فيها فساد. دي

شغلتك، يبقي الرباط دلوقتي في زمنا ايه! حراس الحدود. هما دول اللى بيقوموا بالرباط، فهمت بقى ، انت مينفعش تسيب انت كليتك واقولك روح اقعد ليا في السلوم اعملي خيمة كده واقعد في السلوم واي واحد داخل طالع يقوله "انت مين؟" هيقولك انت مين! يديك قلمين ويقولك امشي بالشلوت، مش هيجاوبك لان انت مش مسؤول لكن لما يلاقي ظابط وعنده عربية شرطة ويقوله انت مين يطلع له كل حاجة، فهمت بقي ازاى. يبقي دلوقتي الحراسة، الرباط هو حراس الحدود، مش فيه حاجة اسمها حرس الحدود! ده فرع من الجيش المصري اسمه حرس الحدود مش كده برضو، هما دول بقي اللى بيقوموا بالرباط دلوقتي. ما انا قلتلك عبادة أمة يعني مسؤولية دولة ، تجيش الجيوش تحدد الرقابة على الناس في الاسعار فهمت ازاى وتعاقب اللى هو بيغش في السوق وتعاقب اللى بيغش الناس واحد ينتحل صفة طبيب ويفتح عيادة وهو مش طبيب دي مسؤولية الحكومة تحوله للتحقيق وتقبض عليه وتعمل ايه فهمت بقي ازاى ، لكن مش مسؤولية كل واحد كده هو اللى ماشي زي ما كان ايام العيال الهبلة في سنة ٢٠١١ و ٢٠١٢ يلاقي واحد بيعاكس واحدة يقوم ايه قاطعله ودنه علشان بيامر بالمعروف وينهي عن المنكر او يخذأله عينه ويقولك أصل أحنا بنأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، واخد بالك، عيال هبلة فاكرين انتو العيال الهبلة دي. هنرجع للهبل تاني.}

أقول: في هذه الفقرة على الأقلّ ستّ قضايا تستحق التعليق عليها. فتعالوا ننظر بإذن الله فيها وحدة وحدة.

أ-الانتقائية بالهوى عند مشايخ الدولة.

الجهاد والرباط من المفاهيم الدينية. لها بُعد سياسي ولها بُعد روحاني، هذا أمر ثابت ومعروف، وإن كان الأصل الشائع في التاريخ وعند الفقهاء والأمّة عموماً أنها أعمال سياسية ذات أصول دينية. وهذا بالضبط ما عرّفه الشيخ به هنا، وترى هذا الترتيب بارزاً في كلامه، أقصد الاعتقاد بأنها مفاهيم دينية سياسية أوّلاً، ثم مفاهيم دينية روحانية ثانياً.

فحين سأله سائل عن معنى الرباط والجهاد، فقال بأن الجهاد {عبادة أمّة} ثم فسّره بمثال حرب مثل {لو الإمام قالك احنا حنحارب اليهود، حيّ على الجهاد..جهاد العدو بالسلاح"}ثم لو تعذّر وجود هذا النوع من الجهاد قال {مفيش جهاد عدو بالسلاح يبقى جهاد النفس جاهد النفس}. كذلك فعل في الرباط، فسّره كعمل سياسي بمصطلح ديني {الرباط هو أنّك تبقى في نقطة حراسة على الحدود..الرباط هو حراس الحدود..فرع من الجيش المصري}.

إذن لاحظ هنا، الجهاد والرباط من مفاهيم الدين، لكن الشيخ يعتبرها عمل سياسي عسكري ماديّ الأصل. وأعطى صلاحية ذلك للدولة المصرية العسكرية، وجعل رئيس مصر بمنزلة {الإمام} الذي حين يأمر بمحاربة اليهود (السيسي ؟! بيحلم طبعاً! لكن مشّي حالك، نكمل) فحينها {حيّ على الجهاد}. كذلك جعل الجيش المصري هو القائم بالرباط الذي أمر به النبي، متمثلاً في منع تهريب المخدرات ودخول الأسلحة وما شابه لما سمّاه وهو يخاطب المصريين {بلدك} ولا أدري كيف تكون بلدهم وهم لا قول لهم في صغير ولا كبير تحديداً بسبب هذه الحكومة العسكرية وجيشها الذين جعلهم مصداق حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الآن، لماذا قلت "انتقائية مشايخ الدولة"؟

لأنهم من جهة يحاربون ما يُسمّى بالإسلام السياسي والذين يريدون تطبيق مفاهيم الدين السياسية في حياتهم السياسية، لكن من جهة أخرى هم أنفسهم يستعملون هذه المفاهيم الدينية لدعم وإعطاء شرعية للدولة السياسية العسكرية. بعبارة أخرى، ينكرون استعمال الإسلام كسياسة حين لا يشتهون، ويعترفون باستعمال الإسلام كسياسة حين يشتهون. وكله بالهوى المحض. ما ساعد الدولة التي تدعمهم أو تسكت عليهم أو ترضى بهم، نعطيها إسلام سياسي وشرعية إسلامية. فإن كانت الدولة ليست كذلك، فلا.

لا يريدون سياسة الإسلام ككل، لكنهم يريدون تسييس الإسلام حين يريدون فقط ويساعدهم ويساعد من خلفهم وفوقهم من أربابهم. ولو كانوا أهل إنصاف، لوجب إمّا إخراج كل مفاهيم الدين السياسية من السياسة، أو إدخالها كلها في السياسة.

أما قوله عن الجهاد {عبادة أمّة} ثم شرح ذلك بقول {لو الإمام قال لك} فيغفل حقيقة مهمة وجوهرية هنا. مَن هو هذا {الإمام} ؟ إذا كان الجهاد عبادة {أمّة} فلابد أن يكون {الإمام} يمثّل الأمّة. أما أن يكون مجرّد رئيس عصابة مسلحة من المجرمين مثله وتغلّب على إرادة الأمّة وقهرها وتجبّر عليها، ثم يكون ممثلاً لعبادة الأمّة وهو عدو الأمّة الأكبر والأول هو وعصابته، فهذا ليس فقط من الجهل والظلم بل هو شيء من الهوى تكفي حكايته لردّه.

ب-التناقض مع اللامبالاة بعقول الناس.

في تحليله للرباط، ذكر مقاصد الرباط التي يحققها حراس الحدود من الجيش المصري، وهي: منع تهريب المخدرات (يعني، التي فيها إفساد للعقل)، وَمنع دخول السلاح (على قوله {اللي بيستعملوها في قتل الناس)، وَحارس الحدود {قاعد بيننا وبين اليهود} (إذن نوع من

المقاومة السلبية لليهود حتى لا يتعدّوا على سيادة مصر)، وَمنع {العيال الدواعش اللي في ليبيا} من إدخال {سلاح وشوية عيال متشردين على بلدك يعيثوا فيها فساد} (إذن هو ضدّ الفساد في البلد بواسطة المسلّحين). بعد ذلك ذكر من مسؤوليات الدولة، فقال أنها {تحدد الرقابة على الناس في الأسعار} (يعني حتى لا يحصل غش في السوق، إذن سلامة الاقتصاد هو المقصود)، كذلك ذكر مثال مراقبة مَن ينتحل صفة طبيب ويفتح عيادة {وهو مشّ طبيب} (ممتاز، إذن التأكد من أن لا يدّعي أحد وظيفة هو ليس أهلاً لها ويتصرّف كأنّه مؤهل ويدجّل على الناس وينصب عليهم ويفسد حالهم).

هل اتضح التناقض؟ إذا نظرت في الأمثلة التي يذكرها ومقاصدها ستجد أنها كلّها متحققة واقعاً الآن في مصر بسبب دولة العسكر بل وأسوأ منها بل بعضها واقع حرفياً بواسطة رؤساء العسكر أنفسهم ومن يتبعهم، والذين يعرفون بدقّة أكثر الشأن المصري يستطيعون تبيان ذلك بنحو أحسن منّي، وما يهمّني هنا هو أصل فكرة وكنهها والتي ستجدها في هذه مصر وغيرها من الدول العربية، لكن بما أنه ذكر مصر كمثال فلنتخذها مثالاً ونختصر.

بالنسبة لتهريب المخدرات. من جهة ستجد كما هو معلوم كبار الدول العربية هم المسؤولين أصلاً عن تهريب المخدرات إلى بلادهم، وهذا معروف حتى عندنا في السعودية ومنذ قديم الزمان فبعض الأمراء يحتكر تهريب وتجارة المخدرات إلى البلد، ولعل الذي يُقبَض عليه من المهربين ويعدم هو مهرّب خارج عن دائرة الاحتكار، وإلا فلم تخلُ البلد من المخدرات بأنواعها ومنذ القديم، وبشهود عيان نعرف وجود مخازن مثلاً للكحول بأصنافها يملكها بعض الأمراء. ولا أحسب الوضع في مصر إلا كذلك. بل لابد في ظلّ الأوضاع الراهنة من نشر المخدرات حتى يتخدّر الناس، فبعض الناس يعطونهم مخدّرات لفظية بواسطة المشايخ والمثقفين والإعلاميين التابعين للدولة، وبعضهم يعطونهم مخدّرات طبيعية، وبعضهم يعطونهم مخدّرات لهو وتسلية. لكن المخدرات الطبيعية الكيمائية لابد منها.

ومن جهة أخرى، وهم الأهمّ، المقصد من منع تهريب المخدرات هو حفظ عقول الناس. ومن المعلوم، وهذا الشيخ في كلامه الذي ندرسه كعيّنة نموذجية هنا، أنه لا شيء يفسد عقول الناس مثل العيش في دولة طاغية وانعدام حرية وكرامة ونظام يمثّل الأمّة حقاً.

فإن أردت ظاهر المخدرات، فالدولة لها يد في ذلك وهي تمنع وتحارب مَن هم خارج دائرتها كما تفعل العصابات التي تريد التحكم في أحياء ومناطق نفوذ خاصة بها ولعلها تقتل بياع المخدرات إذا دخل منطقتها ليس لأنها ضد المخدرات بل لأنها ضدّ بيع المخدرات بواسطة

غيرها. وإن أردت مقصد المخدرات، فالدولة العسكرية رأس إفساد العقول وأكبر مفسد للعقول. وتستطيع أن ترى الفرق حتى في مصر، بل حتى في الشيخ نفسه، كيف كان يتكلّم ويتكلّمون علناً في فترة "العيال الهبلة" حسب تسميته، وبين الوضع الآن، وكله بالصوت والصورة موجود ومتوفر. ويكفي أن تنظر في منطقه الذي نقلناه هنا لترى مدى إفساد العقل الذي يسببه السعي لتبرير وجود دولة لا مشروعية لها ولا بمقدار ذرّة، لا إسلامياً ولا إنسانياً.

بالنسبة لمنع دخول السلاح الذي يقتل الناس. فهذا أمر عجيب حقاً. شخص يعيش تحت عسكر مصر الحالي، صاحب الغزوات الشهيرة...ضد المصريين ! والانقلاب المسلّح على إرادة المصريين. وصاحب السجون التي لو وضعت فيها كلباً أو هرّة لوجبت لك النار وقبله العار. هذا الشخص يعتبر الرباط الشرعي بمنع دخول السلاح الذي يقتل الناس من الخارج. نعم، من الخارج ممنوع، لكن من الداخل حلال زلال ! هذا مثال آخر بالمناسبة على إفساد العقول الذي ذكرناه سابقاً.

بالنسبة لمنع الدواعش من الدخول للإفساد في مصر. فأيضاً، الإفساد على يد الدواعش لا يجوز، الإفساد على يد العسكر يجوز ويجوز.

بالنسبة لكون مسؤوليات الدولة تتضمّن منع الغشّ في الأسواق، يعني حفظ الاقتصاد. لا داعي للكلام عن الاقتصاد المصري بعد حكم العسكر، فهو أمر يعرفه الجميع. فالشيخ يعترض على غشّ في السوق، ولا يبالي بشبه تدمير الاقتصاد المصري والجنيه الذي الشيخ نفسه صار يبتهل إلى الله في أحد أدعيته فيقول "ربّنا ينجّيه" كما سمعته منه مرّة.

أخيراً بالنسبة لمسؤولية الدولة في منع انتحال شخص صفة طبيب وفتح عيادة. فأقول: إذا كان رئيس مصر الآن ينتحل صفة رئيس مصر الشرعي على الملأ، وفاتح ليس عيادة بل فاتح حكومة زوراً وهو غير مؤهل وغير مُخوّل لا في شرعة الإسلام ولا في شرعة العقلاء الأحرار ليقوم بهذه المهمّة، وأنت أيها الشيخ وأمثالك تسكتون عن ذلك. وإذا كان طبيب دجّال قد يفسد في جسم فرد أو عشرة أو مئات، فالرئيس العسكري الدجّال قد أفسد في عقول وأجسام وأموال ما لا يقلّ عن ثمانين مليون، وهذا فقط أثره المباشر في مصر ولا نقول أثره في المحيط العربي، فإن ارتقاء مصر ارتقاء ببقية الدول العربية ولو بعد حين.

إذن، الشيخ يقول الشيخ وينقضه في آن واحد، يقول ما ينقضه الواقع، ويقرر باللفظ ما يعلم وجود عكسه في الواقع، ولا يبالي بعقله ولا عقول السامعين على ما يبدو.

ج-تحريف النصوص خدمة للوضع القائم.

الحديث النبوي الذي على أساسه ورد السؤال للشيخ، وحصره الشيخ في قضية الرباط، فهو هذا {أول هذا الأمر نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكاً ورحمة ثم يكون إمارة ورحمة ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر فعليكم بالجهاد وإن أفضل جهادكم الرباط وإن أفضل رباطكم عسقلان}.

أقول: الشيخ طبعاً طمس الرواية ولم يشرحها إلا بالهوى ونزّلها على عسكر مصر الذين يخدمون مصالحهم أوّلاً ولا علاقة لهم بهذا الحديث ولا بالإسلام أصلاً ولا فرعاً. هذه الرواية الصحيحة بمعايير النقل، والشيخ لم ينكر صحّتها، تجعل النبي آمراً بالجهاد حين يحصل التكادم على الأمّة {تكادم الحمر} الذي هو عضّ الحمر بعضها بعضاً، فالمعنى ظهور العدوان على الأمّة في أمرها وصيرورته عملاً حيوانياً مادياً بحتاً وبداية سريان قانون الغابة فيها كما هو الحاصل في كل البلاد العربية مثلاً ومن أبرز ذلك ما يحصل في مصر الآن. فالنبي لم يأمر هنا بالخنوع والسكوت والهروب، بل قال {فعليكم بالجهاد} وذكر الرباط وعسقلان. الفكرة الجوهرية إذن هي وجوب تحرّك الأمّة، وموضوع الرواية هو الأمر {أول هذا الأمر} وأمر الحكم تحديداً بدليل سياق الحديث {أول هذا الأمر نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكاً ورحمة ثم يكون إمارة ورحمة ثم يتكادمون عليكم تكادم الحمر}. فالموضوع هو الأمر السياسي إذن. وحين يفسد الأمر السياسي، المعبّر عنه هنا بتكادم الحمر، جاء الأمر النبوي بالجهاد. وهذا لا يعجب مشايخ الخنوع أبداً. هم يروون رواية أخرى فيها ذكر اعتزال الفرق والعض على أصل الشجرة وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة، وهي روايات دراستها تبرز غير ما يريده مشايخ الهوى والانتقائية ودول التكادم منها، لكن على الأقلّ تعارضهم هذه الرواية التي فيها ذكر مباشر لحال الأمّة العامّ وفساد أمرها السياسي وتحوّله إلى شرعة حيوانات وحمير (صدق نبي الله !) والأمر النبوي هو الجهاد والرباط يعني لإصلاح ما فسد وإعادة الأمر إلى نصابه. لا لا، لابد من طمس هذا الحديث. فانطلق الشيخ في هذيان طويل عريض عن جهاد النفس وتهريب المخدرات و"العيال الهبلة"، وضيّع جوهر الحديث والفكرة من ورائه. وحتى غاب عن ذهنه، (أم يا ترى، غَيّبه عن ذهنه؟) أن الحديث يتحدّث عن "عسقلان"، وعسقلان على حدّ علمي المحدود بالجغرافية ليست في مصر، فلماذا لم يدخل الشيخ كعادته

في التحليل والتدقيق في أسرار كلام النبي ويفسّر هذه الإشارة وهذا الحديث وعلاقته بالوضع القائم اليوم في البلاد العربية؟ تستطيع أن تستشعر سرّ ذلك في كون أوّل خاطر خطر ببال الشيخ حين بدأ بالجواب بعد أصل كون الجهاد عبادة أمّة هو قوله {لو الإمام قالك "احنا حنحارب اليهود" حيّ على الجهاد}، فنعم لأن عسقلان احتُلّت من اليهود الصهاينة وهم اليوم أكثرية سكانها بعد تهجير العرب منها وهي عند غزّة وقريبة من حدود مصر. فهذا وغيره من دلالات الحديث النبوي كلها تم طمسها، وأقصى ما فعله الشيخ هو تجيير الحديث النبوي لصالح الجيش المصري، بدون أدنى حق، بل بنوع من الهذيان العاطفي واللعب على مشاعر السامعين المصريين {تمنع دخول الأسلحة لبلدك...يدخلولك سلاح وشوية عيال متشردين على بلدك يعيثوا فيها فساد..حنرجع للهبل تاني؟!}. فهذا يكشف لك عن مدى إنصاف هؤلاء حين يتعلّق الأمر بالسياسة التي يحبّونها ويتعصّبون لها، حتى كلام النبي يضربون به عرض الجدار ولو ضربهم على وجوههم ببيانه وصراحته وأنذرهم وأرشدهم لما ينبغي عمله.

د-الخلط بين الأمّة والحكومة لصالح الحكومة وعلى حساب الأمّة.

وهذا يظهر في موضعين.

في البدء قال {الجهاد..عبادة أمّة} ثم شرحه {لو الإمام قال لك}. فاختصر الأمّة في الإمام.

بعد ذلك، والخلط فيه أوضح، قوله {ما أنا قلتلك عبادة أمّة يعني مسؤولية دولة، تجيّش الجيوش}. فعبادة الأمّة تعني مسؤولية الدولة التي تجيّش الجيوش يعني الحكومة.

هذا الخلط ليس بريئاً ولا اعتباطياً. هذا الصنف من الشيوخ ومنذ القدم عندهم نوع من الاحتقار والبغض لعامّة الناس، من المسلمين أو غير المسلمين. تحديداً فيما يتعلّق بالسلطة. نعم، قد تجدهم يمدحون عموم المسلمين باللفظ وفي الأمور العاطفية والوهمية والمجملة. لكن بالنسبة لوجود سلطة حقيقية للأمّة والعامّة فهذا أمر مرفوض وبغيض عندهم. الأمّة عندهم تتمثّل في الإمام وتُختَزل في الدولة وجيوشها. فدعنا من هذه الألقاب. ما معنى ذلك واقعياً؟ معناه هكذا: الغالبية العظمى من الناس يجب أن تكون سخرة لقلّة قليلة من الناس. تسمية هذه القلّة بألقاب "الدولة..الإمام..الحكومة..الخ" كلها نوع من التغطية والتعمية على الحقيقة الواقعية. هم مجرّد ناس، مثلهم مثل بقية الناس، لكن الفرق أنهم-وبمعاونة هذا الصنف من الشيوخ وتنظيراتهم-صارت القلّة القليلة جداً ذات صلاحيات مطلقة في قتل وتعذيب ونهب وسرقة واستغلال الكثرة الكاثرة. لماذا؟ بأي حق؟ بحق السلاح والعنف. فقط. لأن هذه القلّة من

رؤساء العسكر والعصابة التابعة لهم، سواء كان اسمهم "عائلة مالكة" أو "قبيلة" أو "مؤسسة عسكرية" أو أيا كان اللفظ، فالواقع واحد، وهو قلّة منظّمة لديها جنود تستعمل سلاحها لتعبيد الأغلبية لإرادتها. ويتم بعد ذلك، وبالألفاظ فقط، سحر عقول الناس حتى يعتقدوا بأن هذه القلّة تمثّل تلك الكثرة وتعبّر عنهم ويمكن اختزالها فيهم. فالأمّة تصبح الإمام الرئيس والدولة التي هي مجموعة من العسكر والجنود والموظفين التابعين لهم.

بعد ذلك وظيفة الشيوخ حتى يتم قبولهم من قبل تلك العصابة المسلحة من اللصوص المتغلّبة، هي أن يضعوا ألقاب دينية على أشخاص ووظائف العصابة المجرمة. تماماً كما فعله الشيخ هنا. فالجهاد يصبح القتال بأمر العصابة وهواه. الرباط يصبح حرس الحدود وما شابه ممن يخدم مصالح العصابة بشكل أولي وإن كان لباقي الناس مصلحة فهي بالتبع كما يحمي راعي البقر البقر لأنه يريد حلبها وذبحها وليس اعتقاداً بحرمتها وكرامتها وتلبية لإرادتها وخدمتها. الإمام يصبح لقب رئيس العصابة، أو ولي الأمر في تلقيب آخر زوراً. وهكذا في بقية الأمور. بعض الشيوخ أشدّ في هذا الباب من بعض، مثلاً شيوخ السعودية لهم قصب السبق في تقحّم جهنّم هذه اللعبة الخبيثة، إلا أن الكل مشارك فيها بدرجة أو بأخرى. هؤلاء وظيفتهم إقناع أو إسكات فئات من الناس، وهي الفئات المتدينة. لكن توجد فئات أخرى، لديها أناس آخرين يتم توظيفهم لسحر أعين عقولهم بألفاظ أخرى. والمحصّلة واحدة. والذي يهمّنا هو أهل الإسلام، فإن هؤلاء إذا استيقظوا فلن ينفع شيء بعد ذلك ولو فعلوا ما فعلوا مع بقية الناس، لذلك نركّز على ما يقوله المشايخ لعامّة المسلمين، لأنهم الأهمّ والأولى بالانتباه، فنحن أمّة متدينة شاء مَن شاء وأبى مَن أبى.

هـ-انتقاد الخصم بغير إنصاف ولا محاولة توجيه قوله وفعله مع تيسّر ذلك.

هذه نقطة جانبية لكن لا بأس بالإشارة لها من باب إظهار عدم الإنصاف. المقصود هنا حين طعن الشيخ في فعل بعض من سماهم {العيال الهبلة في سنة ٢٠١١ و ٢٠١٢. يلاقي الواحد بيعاكس واحدة يقوم ايه قاطعله ودنه علشان بيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أو ياخذه عينه}.

الآن، لا أدري شخصياً عن مدى شيوع هذا العمل أم هو حوادث فردية وجزئية فعلاً من عيال هبلة ومجرمين معتدين. لكن من غير الإنصاف تعميم هذه الحالة على عموم الناس، وإلا فيوجد ما هو أسوأ من قطع أذن أو قلع عين إنسان بسبب معاكسة امرأة يحصل الآن في مصر بسبب الدولة التي يحامي عنها هذا الشيخ، بل يوجد قطع أذن وقلع عين واغتصاب

وضرب وتشويه بل وقتل وتعذيب بأصنافه يحدث فيها، وتوجد حوادث كثيرة موثقة بالصوت والصورة وأحدها لضابط جاء من ليبيا (أي نعم ليس "داعشي" لكنه عسكري !) وفعل ما فعله مع أحد المصريين وصوّره وتفاخر بذلك لصاحبته كما رأيناه بعدما نشره بعض المعارضين المصريين، وأمثلة كثيرة جداً في السجون وخارج السجون يفعلها العسكر في حق أبرياء براءة تامّة أو أناس أبرياء أيضاً لكن "جريمتهم" أنهم يريدون إعادة الحكم الاختياري لمصر بدلاً من الحكم الجبري ولو بالتلفظ بكلمة (طبعاً الشيخ لن يذكر "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" ولن يعتبره من الجهاد المأمور به شرعاً، بل الجهاد هو "جهاد النفس" اذهب والتهي بنفسك يا ولد وكفّ عن إزعاج العصابة ! نعم، الفقهاء ألهوا الناس بالأحكام الفرعية، المتكلّمون ألهوهم بالكلام عن عدل الله بدلاً من عدل الحكومة، وضُلّال المتصوفة ألهوهم بنفوسهم وضمائرهم، كله يعمل على إشغال الأمّة عن حقّها الأكبر في حكم نفسها بنفسها وإقامة ما تراه عدلاً في حياتها). فليس من الإنصاف الكلام عن حادثة عيّل أهبل واحد وحتى هذا العيّل ضرب له مثلاً بالدفاع عن شرف امرأة ولو بطريقة خاطئة، لكن ترك عيال هبلة مجرمة غاصبة تعيث في الأرض فساداً وتعذّب الناس ليل نهار مباشرة وغير مباشرة وخصوصاً المعارضين السلميين منهم (وحتى لو "غير سلميين" لأن العصابة العسكرية ليست سلمية وانقلبت على الحكم الاختياري بطريقة غير سلمية، فلا يمكن أن تمسك القلم بوجه مَن يوجّه لك السلاح إلا إن كنت معتوهاً. وخذ فتوى علي جمعة مفتي مصر السابق وشيخ الطريقة الصوفية الذي قال ما معناه أن لغة التخاطب مع المسلّحين المعتدين على مصر هي لغة الرصاص، أو كما قال لا أذكر ألفاظه بالضبط لكنها موجودة بالصوت والصورة فراجع إن شئت).

وجه آخر لعدم الإنصاف، هو أنه توجد في تراث المسلمين روايات تؤيد عمل أفراد الناس بدون توسيط الدولة وولي الأمر. من ذلك مثلاً قصّة الصحابي جندب بن كعب الأزدي، وهو المشهور بقاتل المشعوذ أو قاتل الساحر. راجع سير أعلام النبلاء وغيره. فمما روي عنه { عن أبي الأسود ، أن الوليد كان بالعراق ، فلعب بين يديه ساحر ، فكان يضرب رأس الرجل ، ثم يصيح به ، فيقوم خارجا ، فيرتد إليه رأسه ، فقال الناس : سبحان الله سبحان الله ، ورآه رجل من صالحي المهاجرين ، فلما كان من الغد اشتمل على سيفه ، فذهب ليلعب ، فاخترط الرجل سيفه ، فضرب عنقه ، وقال : إن كان صادقا ، فليحي نفسه . فسجنه الوليد ، فهربه السجان لصلاحه .} فهنا ترى رجل من أصحاب النبي، من صالحي المهاجرين، قتل إنساناً بدون إذن ولي الأمر لأنه اعتقد وجوب ذلك، ورضي حتى بالهروب من السجن الذي حبسه فيه "ولي الأمر". وتوجد أمثلة أخرى على مباشرة أفراد المسلمين، من عهد الصحابة، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدون انتظار أمر الأمير، بل ولو كان معارضاً لأمر الأمير، بل ولو

كان معارضةً لأمر الأمير نفسه. مثل عبادة بن الصامت الذي حدّث وأعلن معارضة استعمال معاوية للربا برأيه وقال عبادة "لنحدثنّ بما سمعنا من رسول الله وإن كره معاوية" وفي رواية " وإن رغم". أمثلة كثيرة لا يُلام "العيال الهبلة" الذين يشير إليهم الشيخ تمام اللوم، وإن استحقوا لوماً من وجه لكن ليس بهذه الصورة الشنيعة التي يصوّرها الشيخ، فهؤلاء يقرأون تراثاً مليء بأمثال هذه القصص والعبارات والتي تعطي السلطة لأفراد المسلمين في الأمر والنهي والفعل والقول ولو في بعض الأمور. قد تقول أنهم أخطأوا في تطبيق ذلك، وفعلاً معاكسة امرأة بالقول لا يبرر قطع أذن أو قلع عين (أرجع فأقول: لا أدري مدى صدق أو شيوع ما ذكره الشيخ لكن على فرض صدق الحادثة)، إلا أن الشيخ يوازن بين حكم العسكر الجبري وفترة الحكم الاختياري الذي فاز فيه الإخوان لفترة محددة، الآن إن أردنا أن نوازن فالكفّة قطعاً راجعة لفترة الحكم الاختياري، من جميع الجوانب. حتى هذه الحادثة الجزئية التي ذكرها الشيخ، لا ندري بالضبط أبعادها، هل كانت "معاكسة" باللفظ فقط أن أن المعاكس قد اقترب من جسم المرأة ومسّها وهي لضعفها لم تستطع فعل شيء؟ وعلى العموم الشيخ نفسه يعترف بأنه كان فيه تعرّض لشرف امرأة مسالمة تمشي في الشارع، ومعلوم حساسية هذا الأمر في بلادنا العربية. لكن ما عذر العسكر في المقابل الذي يفضّل الشيخ حكمهم، ما عذر هؤلاء الذين رووا أرض مصر بدماء أهلها ودموعهم ولا زالوا يفعلون وليس من أجل معاكسة بل من أجل معارضة هي أصلاً من حقّهم أو ما دون ذلك مثل حبس إنسان لأنه أخ معارض أو والد معارض، فحتى "لا تزر وازرة وزر أخرى" ضيّعها هؤلاء الذين يحامي عنهم الشيخ. فلو كان الشيخ ينتقد فعل الإخوان، لقلنا نعم. لكنه لا يكتفي بذلك، بل يوازن بين فترتين، وينذر {هنرجع للهبل تاني} وكأنّه أمر سيء يجب التعوّذ منه، فكل الحكم الاختياري بأصوله الشريفة وفروعه العالية وثماره الطيبة غالباً اختزله الشيخ في واحد أهبل-لا ندري مَن هو- قطع أذن رجل يعاكس امرأة في الشارع ! هذا مثال آخر، من أمثلة لا يحصيها إلا الله، على إفساد الطغيان للعقول والأديان.

مثال ثالث على عدم الإنصاف في هذا الوصف، هو تحميل الشيخ عمل فرد لا ندري مَن هو وبأي حق فعل ما فعله، على نظام عام وحكم اختياري وفترة حرية وكرامة لمصر لم تشهد مثلها من قبل ولا من بعد إلى الآن، أقصد من حيث تثبيت الحكم الاختياري وخروج الناس وإعلانهم ما في أنفسهم وحتى الشيخ نفسه تجد تسجيلاته من تلك الفترة فيها جرأة وقوّة وشدّة حتى أثناء الكلام عن الدولة ورئيسها، خلافاً لحاله الآن وبقية أمثاله طبعاً. فبأي حقّ يتم تحميل نظام بل وحزب عمل فرد واحد تصرّف من عند نفسه انفعالاً لما رآه أمامه حتى لو قلنا بأنه مخطئ مائة في المائة؟ لكن في المقابل، ما يفعله العسكر من رئيسهم إلى أصغر جندي

يبيع البطاطس في الشارع ويقاسم المصريين أرزاقهم وما بين ذلك من أصحاب التعذيب وقمع الناس في ممارسة حقّهم في التعبير عن أنفسهم ومعارضة حكومتهم المفترض أنها خادمة وممثلة لهم، هذا كلّه يتم من قبل أفراد ينتمون إلى الحزب المتسلّط، ويعملون بأمر الرئيس والرؤساء الذين تحته ومعه. إن كان سيحكم على نظام بسبب فرد مجهول تصرّف من عند نفسه، فلابد للإنصاف من الحكم على النظام الآخر بسبب أفراد معلومين يتصرّفون بناء على أوامر رئيس النظام، هذا أقلّ الإنصاف كما ترى. وحتى أقلّ الإنصاف لن يشمّ الناس رائحته تحت الحكم الجبري وأتباعه من المرتزقة وأتباعه بالمجّان ممن خسر الدنيا والآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين.

وهذه هي القضية الأخيرة التي أردت الإشارة إليها وهي:

و-التخويف من الحَبّة مع الرضا بالقُبّة. فهو يخوّف من حكم قد يوجد فيه رجل يقطع أذن رجل يعاكس امرأة، وكأنه لا يوجد الآن في مصر مَن يعتدون على بعضهم البعض في الشوارع ولو بلطجة وبغير أدنى حق، ويرضا بحكم العسكر بكل ما فيه من قطع للعقول والكرامة وحقّ الأمّة في حكم نفسها إلى بقية القائمة السوداء.

الحاصل: فقرة كلها أباطيل وتزوير من أولها إلى آخرها، وتحريف وانعدام حياء من الكلام مع الناس وإظهار مثل هذه العبارات المظلمة والغبية.

...

خاتمة

هذا النسبة للتسجيل الأول. نكتفي بهذا القدر منه إن شاء الله. وبه يتم الجزء الأوّل من الرسالة. سأرسله له إن شاء الله لأرى ما ردّه عليه إن كان له ردّ، ولا أحسبهم سيردّون لكن " معذرة إلى ربهم ولعلهم يتّقون". فإن خاب ظنّي وليته يخيب، وجاء ردّ، سأنقله هنا بتمامه إن شاء الله وأنظر فيه، وسأعطيه مهلة أسبوعاً قبل البدء بكتابة النقض على التسجيل الآخر الأطول منه، لكننا لن نحتاج إلى شرح ما مضى لأن أفكارهم متكررة، فإن كان أطول لكن الردّ قد يكون أقصر لأننا سنجمع المقالتين في كتاب واحد على الترتيب. نسأل الله إيقاظ أمّة القرءآن، وبعث أمّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتحريرها وتنويرها فهو ولينا ومولانا لا إله إلا هو إليه المصير. والحمد لله رب العالمين.

....